



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية : العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم : التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: 053092032

العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي

مقدمة لنيل شهادة ماستر LMD في تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في القرون الوسطى

إعداد الطالب:

دريسي مروان

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1				رئيسا
2	محمد موشوش	استاذ محاضر -أ-	محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقرا
3				ممتحنا

السنة الجامعية: 2021-2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد لله والشكر لله الذي أنار لنا طريقنا نحو هدفنا وأمدنا الصبر والقوة والإرادة والثقة

لإتمام هذا العمل

أتقدم بكل الشكر والعرفان والتقدير والاحترام

للأستاذ الفاضل الدكتور موشموش الذي أشرف علي وأمدني من وقته وعلمه أدعو الله أن يرزقه الصحة

والعافية ويجزيه خير الجزاء

كما أتقدم بجزيل الشكر

إلى كافة الأساتذة الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي

شكرا لكل شخص تعلمنا منه ونهلنا منه وسهل لنا طريقنا وصحح لنا أخطاءنا



إهداء

أهدي هذا العمل

إلى روح أختي العزيزة

تغمده الله روحها برحمته الواسعة

إلى روح والدي العزيز

جعل الله الجنة داره وتغمده روحه برحمته

أهديه إلى أعز إنسانة على قلبي

إلى والدي حفظها الله وأطال في عمرها،

وإلى كل إخوتي وأخواتي

إلى الأستاذ المشرف على هذا العمل

وكل من كان سنداً لي من الأساتذة والزملاء والأصدقاء رضوان، لطفي

وشوقي ودوقة عبد الرزاق

مقدمة

مقدمة:

لقد احتلت دول المغرب الأوسط مكانا مرموقا وأهمية كبيرة بفضل موقعها الاستراتيجي الأمر الذي ساعد على تمتعها بنشاط اقتصادي واسع ومتنوع شمل كل المجالات الاقتصادية من صناعة وزراعة وتجارة حيث كانت هذه الأخيرة من النشاطات الرائجة في المغرب الإسلامي حيث برزت بشكل كبير بعد ظهور الدويلات المستقلة كالدولة الزيانية التي اعتمدت على التجارة وجعلتها أحد الركائز الأساسية لتقوية الدولة خاصة أن مدينة تلمسان عاصمة الدولة كانت مركزا إداريا وتجاريا هاما للمسلمين في المنطقة حتى أضحت قطبا اقتصاديا نشطت فيه التجارة الداخلية والخارجية ما أدى بحكامها إلى انشاء علاقات تجارية مع مختلف البلدان والشعوب ولعل من أهم البلدان التي ربطت الدولة الزيانية بها علاقات تجارية هي بلاد السودان الغربي نظرا لموقعها الاستراتيجي الممتاز وتوفرها على موارد طبيعية متنوعة

طرح الإشكالية:

للبحث أكثر في الموضوع نطرح الإشكالية التالية:

- كيف كانت العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية وبلاد السودان الغربي؟

ونطرح تساؤلات فرعية:

- ماهية المؤهلات التي مكنت الدولة الزيانية من إقامة علاقات تجارية مع السودان الغربي؟

- ماهي مظاهر تلك العلاقات؟

- ما هو الدور الذي لعبته الطرق التجارية التي ربطت تلمسان بممالك السودان الغربي؟

- فيما تمثلت نتائج وتأثيرات هذه العلاقات؟

خطة البحث:

قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة ومدخل تمهيدي وثلاث فصول ثم خاتمة وملاحق ذات صلة بالموضوع

تناولت في الفصل التمهيدي الأوضاع السياسية للدولة الزيانية والسودان الغربي حيث تعرضت لنشأة الدولة الزيانية ومؤسستها يغمراسن كما تطرقت إلى الأوضاع السياسية للسودان الغربي وأهم الممالك فيه، هذا وخصصت الفصل الأول إلى المؤهلات الاقتصادية للدولة الزيانية والسودان الغربي من نشاط فلاحية

وصناعي وتجاري وتضمن الفصل الثاني الطرق والمسالك التجارية بين تلمسان والسودان الغربي وأهم المراكز التجارية لديهما أما الفصل الثالث والأخير فيتمحور حول السلع والبضائع المتبادلة وطرق التعامل كما تطرقت فيه إلى صادرات تلمسان نحو السودان الغربي ووارداتها منه بالإضافة إلى أساليب التعامل التجاري بين الإقليمين

الدراسات السابقة:

وجدت بعض الدراسات التي عالجت بعض الجوانب من موضوع الدراسة من بينها:

- دراسة الأستاذ مبخوت بودواية العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان تناول فيها الأوضاع السياسية للدولة الزيانية ونشأتها والطرق التجارية بين الإقليمين بالإضافة إلى السلع والبضائع المتبادلة بين الإقليمين.
- قاسي عبد الرحمان: القوافل التجارية بين حاضرة تلمسان واقليم توات وممالك السودان الغربي، الملتقى الوطني الأول، جامعة أدرار، الجزائر المنهج المتبع

اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على المنهج التاريخي من خلال دراسة تاريخ العلاقات التجارية للدولة الزيانية مع بلاد السودان الغربي و المنهج الوصفي من خلال وصف مظاهر الحياة الاقتصادية بالدولة الزيانية والسودان الغربي وذكر أهم المراكز التجارية و المنهج التحليلي من خلال تحليل ما جاء في مختلف المصادر من مادة تاريخية

عرض لأهم المصادر و المراجع المعتمد عليها :

أولا المصادر: اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على مجموعة من المصادر التاريخية الغزيرة أهمها:

كتب الرحلات و الجغرافية :

- كتاب المسالك و الممالك للبكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت.487هـ_1094م) الذي استفدت منه في معرفة الامتداد الجغرافي لتلمسان و السودان الغربي و أهم المراكز الجغرافية و الطرق والمسالك بين البلدين

- كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري محمد بن عبد المنعم ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، الطبعة 01 ، استفد منه في معرفة الحدود السياسية و الجغرافية للدولة الزيانية و السودان الغربي

كتب التاريخ العام :

- كتاب بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد لأبي زكرياء ابن خلدون (ت 780 هـ) الجزء الأول حققه عبد الحميد حاجيا واستفدت منه في معرفة الحياة السياسية للدولة الزيانية
- كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمان ابن خلدون (ت.808هـ) يضمن معلومات عن تلمسان و الاحداث التي وقعت في المغرب الأوسط المجلدين السادس و السابع من طبعة بيروت

ثانيا المراجع:

1_ المراجع باللغة العربية :

- كتاب تلمسان في العهد الزياني لعبد العزيز فيلاي (ت. 2002م) حيث أفادني في معرفة الاوضاع السياسية و الاقتصادية للدولة الزيانية ، الجزائر .
- كتاب تاريخ الدولة الزيانية لمختار حساني (ت.2002م) تضمن الاوضاع السياسية و الاقتصادية للدولة الزيانية، الجزء الاول ، منشورات الحضارة ،الجزائر .
- كتاب تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية ليحي بوعزيز (ت.2009) معلوماته كلها قيمة حول الأوضاع السياسية للسودان الغربي ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، الجزائر .

2_ المراجع باللغة الفرنسية :

- كتاب BERNARD LUGAN AFRIQUE L'HISTOIR A TENDROIT الذي أفادني في معرفة أوضاع افريقيا الغربية منشورات LIBRAIRIE ACADEMIQUE PEVAIN PARIS 1986

دوافع إعداد المذكرة:

جاء اختياري لهذا الموضوع بسبب إعجابي و ميولي لتاريخ دويلات المغرب الاسلامي خاصة دول المغرب الأوسط وعلى رأسهم الدولة الزيانية و الرغبة في معرفة طبيعة العلاقات التجارية بين هذه الدولة و بلاد السودان الغربي .

سبب آخر و هو أن الدولة الزيانية و رغم تاريخها العريق لم تنل حقها من الدراسة لدرجة كبيرة من خلال طرح مواضيع أو نشر مؤلفات لها فقط خاصة من قبل الباحثين الجزائريين .

فضولي الكبير في التعرف على ثروات السودان الغربي وعلى رأسهم مملكة مالي و اعجابي بشخصية الملك منسا موسى الذي قالت عنه الروايات أنه من الملوك الاغنياء في التاريخ خاصة فيما يتعلق بتجارة الذهب .

الصعوبات:

من بين الصعوبات التي واجهتها :

- قلة المصادر المتعلقة بالموضوع بالتحديد أي العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية و بلاد السودان الغربي
- صعوبة استخراج بعض الأفكار و المعلومات من بعض المصادر
- قلة الدراسات المتعلقة بالموضوع و النتائج المترتبة عن هذه العلاقات

شكر الأستاذ المشرف :

أتقدم بشكري الكبير الى الأستاذ المشرف الدكتور محمد موشوش على قبوله الاشراف علي و صبره معي حيث لم يبخل علي بنصائحه التي سهلت طريقي نحو انجاز الموضوع ببارك الله فيه وجزاه الله كل الخير.

الفصل تمهيدي:

الأوضاع السياسية للدولة الزيانية و السودان

الغربي

أولاً: الأوضاع السياسية للدولة الزيانية

ثانياً: الأوضاع السياسية للسودان الغربي

الأوضاع السياسية للدولة الزيانية والسودان الغربي :

تعاقب على حكم المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي عدة دول إسلامية، خضعت بعضها لراية واحدة وأحياناً كان لكل دولة استقلالاً ذاتياً وراية خاصة بها، بداية من تأسيس الدولة الرستمية إلى دولة الأدارسة، الفاطمية، الحمادية، المرابطية والموحدية، هذه الأخيرة التي استطاعت توحيد كامل بلاد المغرب تحت سلطتها لكن ما لبثت أن ضعفت وانهارت لتحل محلها مجموعة من الدول فنجد الدولة الحفصية في تونس و المرينية في المغرب و الزيانية في الجزائر .

أولاً: نشأة الدولة الزيانية:

تنسب دولة بني زيان إلى قبيلة بني عبد الواد،¹ إحدى بطون قبيلة زناتة،² هذه الدولة تضاف إلى عبد الواد الذين بسيفهم قامت، وبأبطالهم حميت، وتنسب إلى زيان بن ثابت بن محمد من بني أطاع الله، لأن ملوكها من عقبة وبنو طاع الله من بطون بني قاسم من عبد الواد³، كانت مساكنهم قبل القرن السابع قبله تلمسان،⁴ كان بنو عبد الواد في الأصل من أمراء القبائل الرحل التي تجوب في صحراء المغرب الأوسط، قيل عنهم بنو عبد الواد الشجعان،⁵ ثم أتاحت لها الظروف الاستقرار وتكوين دولة عمرت ما يقرب ثلاثة قرون⁶.

ولم يزل بنو عبد الواد هؤلاء بمواطنهم تلك وبنو راشد⁷، وربما يقال كان شيخهم بذلك العهد يعرف بيوسف بن تكفا، حتى إذا نزل عبد المؤمن والموحدون نواحي تلمسان وسارت عساكرهم إلى بلاد زناتة وحسنت بعد ذلك طاعة بني عبد الواد وانحيازهم إلى الموحدين، وكانت بطونهم وشعوبهم كثيرة ذكرها ابن خلدون ستة: بنو

¹ بنو عبد الواد: أطلق هذا الاسم نسبة إلى جدهم الذي كان يتعبد في وادي فلقب بعبد الوادي. ينظر: ابن خلدون أبو زكرياء يحيى ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، إصدارات المكتبة الوطنية الجزائرية، 1980، ج 1، ص. 186. و ينظر: ابن الأحمر أبو الوليد اسماعيل: أعلام المغرب و الاندلس المعروف بنثير الجمال، ط1، تح: محمد رضوان الدالية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976 ص 273 .

² زناتة: قبيلة بربرية تتكون من بطون عديدة متشعبة ينظر: ابن خلدون عبد الرحمان: العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر تح: خليل شحادة ، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ، 2000، ص 3_4

³ مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم و تصحيح: الميلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ج 1، ص 439 .

⁴ أبي رأس الناصر: لقطه العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان و أنه من بني زيان ملوك تلمسان، تح: حمدادو بن عمر، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، 2011، ص.143.

⁵ مؤلف غير معروف: زهر البستان في في دولة بني زيان ،تح و تق: بوزيان الدراجي مؤسسة بوزياني للنشر و التوزيع، الجزائر ج، 2013، ص.15.

⁶ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1999، ص 786 .

⁷ بنو راشد: كانت مواطنهم في الصحراء في الجبل المعروف براشد اسم أبيهم. ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون: ج 7، ص. 203.

يتكبن، بنو وللو، بنو احطف، ومصوصة، وبنو تومرت وبنو القاسم¹، تولى بنو عبد الواد إدارة تلمسان بعد حصولهم على ثقة الموحدين منفذين لسياستهم في المنطقة² حيث اتخذوهم أولياء وأنصارا وحماة لقطر تلمسان حسب تعبير يحيى ابن خلدون³، وأقطعوهم أراضي خصبة امتدت من بلاد وامانو⁴ إلى بلاد يلومي⁵ بناحية الشلف.

الأمر الذي ساعدهم على تولي إقليم تلمسان وإدارة كامل المنطقة⁶ خاصة بعد هزيمة الدولة الموحدية في معركة العقاب⁷ سنة 609 هـ / 1112 م، حيث لم يعد لهم قوة ولا نفوذ إذ ضعفت سلطتهم في أنحاء المغرب الإسلامي، وأدى هجوم بنو غانية⁸ سنة 1120 م على بلاد المغرب الأوسط إلى حدوث نهب وتخريب وقتل في مختلف الأنحاء⁹ ليغتنم بنو عبد الواد الفرصة للاستلاء على المناطق المجاورة لتلمسان بقيادة زعيمهم جابر ابن يوسف سنة 622 هـ / 1120 م¹⁰ الذي انتخبه بنو عبد الواد أميرا عليهم وعمل الخليفة المأمون الموحدى على تثبيته حاكما شرعيا على إقليم تلمسان وإقليم بني راشد بعد أن أعلن له جابر ابن يوسف الولاء والطاعة سنة 627 هـ / 1230 م¹¹ حيث تطلع بنو عبد الواد إلى التملك على المغرب الأوسط والانفراد بالسلطة فيه فحملوا الدولة الموحدية على التنازل لهم عن إمارة تلمسان واستقل يغمراسن بتلمسان، وقيت فقط الخطبة لخليفة الموحدى أبو الحسن السعيد الذي خرج لقتال هذا الخارج عن سلطانه فقتله، وأدى ذلك إلى تثبيت أركان دولة بني عبد الواد التي عرفت بعد ذلك في عهد السلطان أبو حمو الثاني باسم الدولة الزيانية نسبة إلى

¹ يحيى ابن خلدون: المصدر نفسه، ص. 97.

² رشيد بورويبة: الجزائر في التاريخ العهد الاسلامى من الفتح الى بداية العهد العثمانى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 395.

³ يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ص. 198.

⁴ بلاد وامانو: احد فروع زناتة شرق وادي مينا. بنظر عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق، ج 7، ص. 77-78.

⁵ بلاد يالومي: من قبائل زناتة كانت مواطنهم بالضفة الغربية لواد مانا. بنظر: عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 7، ص. 74.

⁶ رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 395.

⁷ معركة العقاب: دارت بين الموحدىين بقيادة محمد الناصر الموحدى وبين الجيش الاسبانى المسيحي بقيادة ألفونس الثامن ينظر: المقرئ شهاب الدين التلمسانى (ت 1041 هـ _ 1622 م): نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، تح: محي الدين عبد الحميد، دار صادر، بيروت، 1988، ص 117

⁸ بنو غانية: ينتموا الى قبيلة مسوفة الصنهاجية التي ينحدر منها بنو تاشفين وكانو ولاة عن دانية ينظر المراكشى عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر، القاهرة، 1994، ص 129.

⁹ عبد الحميد حاجيات: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطنى دراسات و بحث، ص 183_184

¹⁰ عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 111.

¹¹ عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، موفيم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2002 ج 1 ص 15.

والد يغمراسن ابن زيان، فأصبحت تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولقب سلاطينها بلقب لأمير المؤمنين ولم يثبت عنهم دعوتهم للخلافة¹

يغمراسن مؤسس الدولة:

كان يغمراسن ابن زيان ابن ثابت ابن محمد من أشد هذا الحي بأساء وأعظمهم في النفوس مهابة واجلالاً وأعرفهم بمصالح قبيلته،² أحسن سياسة قومه من زغبة وبني راشد وجمع كلمتهم فاشتد ساعده ونوط أمره، فكان يغمراسن أول ملوك هذه الدولة³، وصفه التنسي بالملك الهمام، الأسد الضرغام، تاج الأعيان⁴، حيث بدأ يغمراسن ابن زيان حياته السياسية بالارتباط بالخلافة الموحدية بمراكش، ثم انفصل عنها أيام الرشيد عبد الواحد ابن ادريس، كما واجه الدولة الحفصية التي كان سلطانها أبو زكرياء يطمع لتوحيد المغرب من جديد، فتقدم إلى تلمسان سنة 640 هـ⁵، لإخضاع سلطانها يغمراسن حيث انتقل إلى جبال بني ورنيد⁶، ولما أدرك أنه لا يستطيع مواجهته فكر في التحالف معه ضد الدولة الموحدية⁷، كما اتصل شيوخ بني توجين ومغراوة⁸ لكي يحثهم على أن يكونوا أندادا ليغمراسن، لكن هذا الأخير واجه هذه السياسة بعنف وتمكن من القضاء على نفوذ هؤلاء الشيوخ ووقف ضد الموحدين وانتصر عليهم بتمزيردكت⁹، وقد تمكن يغمراسن بشجاعته أن يمد رقعة دولته بمساعدة القبائل المنضوية تحت نفوذه ومنذ ذلك الوقت أصبحت عاصمة بني عبد الواد يعلو نجمها ويسطع حتى صارت حاضرة من الحواضر العالية في ذلك الوقت، وقد هلك بنو عبد الواد لهذا الانتصار ففكر يغمراسن في غزو مناطق أخرى ومزاحمة بني مرين في نفوذهم على المغرب الأقصى، وعزز من دفاعاتهم الحدودية المتاخمة وهذا تمكن يغمراسن من توسيع رقعة دولته حتى بلغت بلاد تاوريت وإقليم فجيح جنوباً

¹ شوقي عطاء الله الجمل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ط 1، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1977، ص. 33.

² عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق، ص. 105_106

³ مبارك المليي: المرجع السابق، ص. 439.

⁴ محمد بن عبد الله التنسي: نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان، تح تع: محمود بوعباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص. 111.

⁵ عن هجوم أبي زكرياء الحفصي على تلمسان سنة 640 هـ _ 1242 م ينظر: ابن خلدون: العبر، ج 7، ص. 165.

⁶ ورنيد: نسبة لبطن من بطون زناتة و مزال بنو ورنيد قاطنين بذلك الجبل جنوب تلمسان، ينظر: العبر، ج 7، ص. 166.

⁷ مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2002، ج 1، ص. 9.

⁸ مغراوة: أوسع بطون زناتة وكانت محلاهم بأرض المغرب الأوسط من شلف الى تلمسان الى جبل مدبولة. ينظر: العبر، ج 7، ص. 33.

⁹ تمزيردكت: هو قصر في اعلى صخرة على الطريق المؤدية من فاس الى تلمسان، ينظر: كرتيخال مارمول: افريقيا، تر: محمد حاجي و آخرون، دار المعارف الجديدة، الاسكندرية، 1988، ج 2، ص. 225.

والونشريس المدينة وسهل متيجة إلى أن وصلت سلطته إلى أطراف بجاية وبلغت الصحراء نحو الجنوب،¹ وبهزيمتهم ضد يغمراسن انتهت بذلك دولة الموحدين وحل محلها بنو مرين² للصراع مع بني زيان، خاصة وأن يعقوب ابن عبد الحق المريني كان يخشى بأس يغمراسن ابن زيان ذلك الداهية الذي سيطر بدهائه ومكره وقدراته على إقليم تلمسان الغني، سار يعقوب ابن عبد الحق نحو تلمسان ليغزوها وكان اللقاء على وادي أسيلي، وهناك انهزم يغمراسن هزيمة لا تقل عن هزيمة تالاغ³، حكم يغمراسن ابن زيان نيفا وخمسين سنة هجرية (48 سنة ميلادية)، دل في أثنائها على أنه أمير ذكي قادر عتيد فقد عرف كيف يؤمن دولته ويحصنها ويحميها من بنو حفص تارة ومن المرينيين تارة أخرى، حتى أصبحت هذه الإمارة من أقوى إمارات المغرب طوال أيامه.⁴

الحدود السياسية للدولة الزيانية:

تلمسان قاعدة المغرب الأوسط وحد المغرب الأوسط من واد يسمى مجمع وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب، ومدينة تلمسان مدينة عظيمة وبينها وبين وهران مرحلتان، وهي في سفح جبل أكثره تبر الجوز⁵ فتميز إقليم تلمسان بجباله وسهوله ومراعيه، وقد قامت تلمسان العربية على أصل حصن روماني قديم يسمى بوماريا⁶، وصفها ابن خلدون بأنها قاعدة المغرب الأوسط⁷، وتلمسان كلمة زيانية تتكون من مقطعين، الأول تلم ومعناه تجمع، والثاني سان ومعناه اثنان أي تجمع الاثنان وهما البر والبحر، بينما ذهب بعض المؤرخين إلى أن كلمة تلمسن ولفظه تلمسين وجمعها تلمسان تعني المكان الذي يستقر به الماء بسبب كثرة عيون الماء بالمنطقة⁸، كانت حدود الدولة الزيانية تشمل المغرب الأوسط يحدها

¹ عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص. 21 .

² بنو مرين: هم شعب من بني وسين من بطون قبيلة زنانة وكانت منازلهم في المغرب الأوسط ما بين وادي ملوية شمالا وسجلماسة جنوبا، ينظر خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية، ط 1، المكتبة الوطنية للفنون المطبعية، 2005، ص. 37.

³ ابن الاحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ط1، تقديم وتحقيق: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر و التوزيع، بورسعيد، 2001، ص19_21

⁴ ابن الاحمر: المصدر السابق، ص. 24_25 .

⁵ محمد ابن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ط1، تح: احسان عباس، مطابع هيدلنغ، بيروت، ص. 135 .

⁶ حسن مؤنس: معالم تاريخ المغرب و الأندلس، مراجعة: عادل أبو المعاطي و محمد دياب، دار الرشاد العربية للطباعة و النشر، 1997، ص. 27.

⁷ عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق، ص. 102 .

⁸ خالد بلعربي: تلمسان من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الزيانية (55هـ _ 633هـ) (675م _ 1235م)، دار الأملعة للنشر و التوزيع 2011، ص. 11.

شمالا البحر المتوسط وجنوبا الصحراء الكبرى الفاصلة بينها وبين بلاد السودان الغربي أما غربا كان يفصلها عن الدولة المرينية نهران وادي ملوية ونهر زا شرقا يحدها عن بلاد صنهاجة الوادي الكبير¹، ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة باب الحمام وباب وهب وباب الخوبة، وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قره²، وهي تثيق من الشمال إلى الجنوب وتمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة تسعمائة وثلاثين كيلومتر³، وصفها الإدريسي بقوله ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب وهي على رصيف للداخل والخارج منه لا بد منها والاجتياز بها على كل حال⁴.

التعريف ببلاد السودان الغربي:

تطلق كلمة السودان على المناطق المحصورة بين المحيط الأطلسي غربا والمحيط الهندي والبحر الأحمر شرقا والصحراء الكبرى شمالا، وكان العرب المسلمون هم أول من أطلق كلمة السودان على الشعوب والقبائل التي تسكن هذه المنطقة الواسعة⁵، إلا أنهم كانوا يطلقون هذا اللفظ على كل السود الإفريقيين⁶، أما كلمة السودان فهي مصطلح اطلق من قبل الرحالة العرب على هذه البلاد⁷ ذكر القلقشندي أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ومن الشرق بحر القلزم⁸، ويمكن تقسيم بلاد السودان إلى ثلاث أقسام أساسية:

1- السودان الغربي:

ويشمل حوض نهر السنغال والمناطق المحيطة به، وقامبيا، وفولتا العليا والنيجر الأوسط (نيجيريا)⁹، يمتد السودان الغربي من ساحل السنغال حتى حدود نيجيريا الشمالية، نقطة ارتكازه هي السنغال وحوض نهر

¹ مبخوت بودواية: العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الاوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة لنيل الدكتوراه، جامعة تلمسان، الجزائر، 2005م_2006، ص. 17.

² أبي عبد الله بن محمد البكري: المسالك و الممالك، ط1، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص. 60.

³ مبخوت بودواية: المرجع نفسه، ص. 24.

⁴ الشريف الإدريسي: وصف افريقيا الشمالية و الصحراوية مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، صححه ونشره: هنري بيرس 1957، ص. 60.

⁵ يحي بوعزيز: تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص. 8.

⁶ الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي و الاقتصادي لافريقيا ما وراء الصحراء، ط1، الدار المصرية اللبنانية، 1999، ص. 18.

⁷ احمد سليمان وآخرون: السودان و افريقيا في مدونات رحالة الشرق والغرب، دار السويد للنشر و التوزيع، الامارات، 2006، ص. 17.

⁸ ابو العباس أحمد القلقشندي: صبح الاعشى في صناعة الانشاء، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1915، ج5 ص. 275.

⁹ يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص. 8.

النيجر الأعلى والأوسط، وعندما نتحدث عن السودان الغربي فإننا نعني هذه الحدود¹ أي الجهة الواقعة في الجهة الغربية من البلاد².

2- السودان الأوسط.

3- السودان الشرقي³.

يسكن السودان الغربي شعوب قبائل زنجية من أشهرها قبائل الماندي، التكرور، الـوولوف، اليوروبا، الهوسة⁴، أهل كانو، بورنو، سكان وادي، وغيرها⁵، ولهذا نجد أن السلالات الزنجية الصحيحة توجد بوجه خاص في إفريقيا الغربية فيما بين نهر السنجال إلى الحدود الشرقية لنيجيريا⁶.

ممالك السودان الغربي:

1- مملكة غانة:

هي من الممالك المشككة للسودان الغربي وهي لا تمت بصلة إلى دولة غانا الحديثة التي تبعد عن منطقة الإمبراطورية القديمة بنحو ألف وستمئة كيلومتر في اتجاه الجنوب الشرقي⁷، وغانة نسبة لملوكهم، واسم البلد أوكار⁸. تأسست حوالي عام 300 م، من بين مدنها أوداغوش، ووصو وولاته⁹، موقعها الحالي جنوب غرب القارة الإفريقية، امتدت غانة بين وادي النيجر الأدنى شرقا والمحيط الأطلسي غربا، وبين وادي السوس والصحراء الموريطانية شمالا، ومنايع النيجر والضفة اليمنى لنهر السنغال جنوبا¹⁰، اقليمها يحتوي على خصائص ومميزات طبيعية واقتصادية¹¹ ازدهرت بها التجارة كثيرا خاصة تبر الذهب¹، كما كان لموقعها

¹ احمد طاهر: إفريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، 1975، ص. 68.

² BERNARD LUGAN AFRIQUE L'HISTOIRE A TENDROIT LIBRAIRIE ACADEMIQUE PEVAIN PARIS 1986 P72

³ يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص. 8.

⁴ المرجع نفسه، ص. 10.

⁵ نقولا زيادة: إفريقيا دراسات في المغرب العربي و السودان الغربي، رياض الريس للكتب والنشر، 1991، ص. 311.

⁶ محمد عوض محمد: الشعوب و السلالات الافريقية، الدار المصرية للتأليف و الترجمة و النشر و التوزيع، ص. 46.

⁷ جوان جوزيف: الاسلام في ممالك و امبراطوريات افريقيا السوداء، ط1، تر: مختار السويدي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984، ص. 47.

⁸ أبي عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب جزء من المسالك و الممالك، مكتبة المثنى، بغداد، ص. 174.

⁹ يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 19.

¹⁰ نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الاسلام، مراجعة عمر الحكيم، ص. 28.

¹¹ الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص. 30.

الاستراتيجي دورا كبيرا في جعلها حلقة وصل بين شمال القارة وغربها²، كانت مقسمة إلى مدينتين: مدينة يقطنها المسلمون وهي مدينة كبيرة وجميلة، والمدينة الثانية فهي مدينة الملك وتعرف بالغابة وبها قصر الملك.³

2- مملكة مالي:

من أعظم الممالك الإسلامية في السودان الغربي بسبب موقعها الممتاز ومساحتها الشاسعة واهتمام ملوكها بالاقتصاد. وكانت تمتد بين بلاد بوننو في الشرق والمحيط الأطلسي في الغرب وبين جبال البربر في الشمال، ونطاق الغابات في الجنوب⁴، ذكر العمري حدودها في قوله: " تقع هذه المملكة في جنوب نهاية الغرب ، متصلة بالبحر المحيط"⁵ وتشمل من الدول الحديثة أجزاء من موريطانيا، السنغال، غامبيا، غينيا، مالي، ساحل العاج، ليبيريا وسيراليون⁶، تأسست على يد قبائل الماندينغ بعد صراع بينها وبين قبائل الصوصو⁷، واستمرت جذورها حتى القرن التاسع عشر ميلادي الموافق للقرن الحادي عشر الهجري⁸، بلغت أوج عظمتها في منتصف القرن الرابع عشر ميلادي حيث امتد نفوذها السياسي الى ما وراء الجاو تجاه حدود الهوسا خاصة بعد تأسيس تمبكتو⁹ عام 1100 م، وازدهار التجارة بها حتى أصبحت مدينة كبيرة للتجارة عبر الصحراء¹⁰، ويعتبر حكم سندياتا¹¹ الذي دام قرابة العشرين سنة عدها مشرقا ، اذ شهد تذكورا ملحوظا في كافة نشاطات مالي الاسلامية¹².

¹ يحي بوعزيز : المرجع نفسه ، ص 19 .

² عايدة العزب موسى : تجارة العبيد في افريقيا ، مكتبة الشروق الدولية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2007م ، ص.10.

³ الهادي مبروك الدالي : مملكة مالي الاسلامية و علاقاتها مع المغرب و ليبيا ، تقديم : محمد رزوق ، دار الملتقى للطباعة ، لبنان ، 2001 ، ص.17.

⁴ نافذ أيوب سليتو ، محمود شاعر : مواطن الشعوب الاسلامية في افريقيا مملكة مالي ، المكتب الاسلامي ، دمشق ، 1977 ، ص.40.

⁵ العمري : مسالك الأبصار في ممالك الامصار ، تح : كامل سليمان الجوري ، دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1971م ، ج4 ، ص.50.

⁶ نافذ أيوب سليتو ، محمود شاعر : المرجع نفسه ، ص.40 .

⁷ نورالدين شعباني : محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي ، دار الجزائر ، 2015 ، ص.46.

⁸ الهادي مبروك الدالي : المرجع نفسه ، ص.27.

⁹ تمبكتو : تقع شمال العاصمة باماكو تبعد عنها بحوالي ألف و ثلاثمائة كيلومتر، ينظر : ابراهيم الدالي ، التاريخ السياسي، ص.99.

¹⁰ فيج ج يدي : تاريخ غرب افريقيا ، ترجمة وتقديم وتعليق : يوسف نصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1982، ص.55.

¹¹ سندياتا : ينتسب الى ابن ناري فامعان بن ناري فامعان بن موسي كيتا ، ينظر : الهادي مبروك الدالي : مملكة مالي الاسلامية ، ص.27.

¹² الهادي مبروك دالي : المرجع السابق ، ص.28.

3- مملكة سنغهاي :

تعد هذه المملكة أعرق و أقدم ممالك نهر النيجر ، الا أن دورها البارز لم يبدأ الا في أواخر القرن 05 للهجرة و يرجع تاريخ تأسيسها الى القرن السابع للميلاد / الأول للهجرة¹، تأسست على يد قبائل السونغاي أو السونراي .وهم مجموعة من الصيادين التي كانت تقطن على ضفة وادي النيجر الأوسط ، وكانت تتشكل من عشيرتين متنازعتين هاجرت احدهما نحو الشمال²، أما عاصمة المملكة فتعرف باسم كوكو³. حيث كانت من أهم المراكز التجارية في السودان الغربي .

¹ نور الدين شعباني : المرجع السابق ، ص60_61 .

² نعيم قداح : المرجع السابق ، ص.67.

³ كوكو : تقع هذه المدينة في الشمال الشرقي من مدينة غاو . ينظر : ابن سعيد : الجغرافيا ، تح: اسماعيل العربي ، المكتب التجاري للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1970م، ص.93.

الفصل الأول:

المؤهلات الاقتصادية للدولة

الزيرية والسودان الغربي

أولا: المؤهلات الاقتصادية للدولة الزيرية

ثانيا : المؤهلات الاقتصادية للسودان الغربي

أولا المؤهلات الاقتصادية للدولة الزيانية

الاقتصاد هو عصب الحياة بالنسبة إلى أي نظام سياسي ذلك أنه هو الذي يحدد مدى ثراء الدولة أو فقرها ولا شك أن الحياة الاقتصادية تستمد وجودها من إمكانيات اقتصادية تتماشى بها المؤسسات المختلفة الدولة سواء فيما يتصل بالزراعة أو التجارة أو الصناعة . وإذا كانت موارد الدولة تحدد من خلال هذه المجالات فإنها تتأثر إيجابيا بالوضعية السياسية وما يقوم بين الدولة وجيرانها من حروب كما تتأثر بالوضع الاجتماعي وخصوصا ما يتصل بالأمن، وكلما كانت الدولة مستقرة أصبح نظامها الاقتصادي أكثر تطورا ورقيا والحال بالنسبة للدولة الزيانية يبدو في وضع متواز بين التحكم في مقدره الدولة الاقتصادية ومواجهة الضغط العسكري والسياسي من خارجها واضطراب الأمن داخلها وتبدو هذه الوضعية نصف مستقرة لم تصل إلى حد الانهيار أو الاستقرار الكامل الذي يؤدي إلى الرقي المنشود والتقدم في المجال الاقتصادي¹.

لقد اعتمدت الدولة الزيانية في اقتصادها على الزراعة والصناعة والثروة الحيوانية والتجارة الداخلية والخارجية، ولقد اعتنت الدولة بهذه الأمور وأولتها اهتمام خاص، و كان إنتاج الإمارة الزيانية وفير و اتسمت بقلة سكانها و كانت همزة وصل بين أوربا وإفريقيا جنوب الصحراء السودان الغربي².

1_النشاط الفلاحي في الدولة الزيانية

حرص يغمراسن بن زيان على حسن مراعاة الزراع في الأراضي الواقعة تحت سلطته، فوفر لهم الأمن، وخفف عنهم الجبايات فأحبوه وتعلقوا به.

كما اهتم بقية السلاطين الزيانيين الذين جاؤوا بعد يغمراسن باتخاذهم البساتين والحدائق داخل قصور الملك وهو ما عبر عليه يحيى ابن خلدون: "فيها للملك قصور زاهرات اشتملت على المصانع الفائقة، والصروح الشاهقة، والبساتين الرائقة، مما زخرفت عروشه، وتمقت غروسه ونوسبت أطواله وعروضه"، إلى أن قال... " ،وتحف بخارجها الخمائل الألفاف، والأدواح الأشبة، والحدائق الغلب، بما تشتهيه الأنفس وتلد الأعين، من الفواكه والرمان والتين والزيتون إلى المنتزهات الرائقة".

¹ مختار حساني : المرجع السابق ،ص11.

² مبخوت بوداوية : الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، جامعة تلمسان ،ص53.

كما أشار عبد الرحمن ابن خلدون إلى أن قصور تلمسان كانت في منتهى الحسن ساهم في بنائها الحذاق من أهل صناعة البناء، واستجادوا فيها بما أعياء على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله. ولم يتمالك لسان الدين بن الخطيب نفسه وهو يصف أعمال السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى في البناء والبستنة ونظم الغروس حين قال عنه: "مشيد القصور و مروض الغروس ومبتك الترف"¹

إن العهد الزياني من خلال الاهتمام بالطرق العلمية في الغراسة، بالإضافة إلى وجود بعض من اليد العاملة المتخصصة في هندسة البساتين والحدائق وغيرها، وهو الأمر الذي يقودنا إلى الاعتقاد بوجود نوع من الثقافة الفلاحية العلمية لدى الفلاح الزياني بصفة عامة ولمكانة هذا النشاط بالنسبة للزيانيين، فقد تضمنت وصايا أبو حمو موسى الزياني لابنه أبي تاشفين أمثلة في غاية الروعة، استمدتها في الحقيقة أعمال الفلاحين على عهده، لكي يتأسى بها وصيه من بعد، ومن تلك الأمثلة نذكر: "وأعلم يا بني أن المملكة مثلها مثل البستان، فينبغي أن يسوسها الملك في غالب الأحوال كما يسوس صاحب البستان بستانه، فمن ذلك أنه ينتخب أهل الشكيمة من جنده، وذوي الشوكة من أعيانه فيجعلهم في أقاصي البلاد وأطراف مملكته ليحفظ بهم الرعية كما يفعل صاحب البستان فإنه يخرج الشجر ذوات الشوك وما فضل من العيدان فيحيط بها على الشجر المثمرة والزرايع الطيبة ليقبها من أهل الفساد والدواب الموزية، وكذلك على الملك أن يطهر رعيته من أهل الفساد والدعارة ويخرجهم من بينهم،...، فإنه إذا فعل ذلك صلحت أحوال الرعية وانتعشوا وكثر خيرهم، كما يفعل صاحب البستان فإنه ينقي بستانه من الحشيش الذي لا فائدة فيه ويخرج ما فيها من الشوك والنبات الخبيث فينتعش زرعها وينمو شجرها، ويطيب ثمرها"².

كما أن الفلاحة من أغنى المكاسب، لأن "بالغراسات والزراعة تكثر بمشيئة الله الأقوات"³، وعن طريقها يصل ممتنها: "بحول الله إلى معاشه، ويستعين بها على قوته وقوت عياله وأطفاله،...، واستعان بذلك على منافع ديناه ومصالح أخراه"⁴ ومن المنافع الحاصلة للفلاح من خلال هذا النشاط في الدنيا كفاية أهله عيلة الفقر بتوفير الغذاء لهم، وبناء الثروة سعياً لحياة أفضل، أما في الآخرة فينال الأجر والثواب لأنه ييسر على

¹ لخصر العربي: الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني، (633هـ/1235م - 962هـ/1554م)، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2018، 2017، ص48.

² لخصر العربي: المرجع السابق، ص49.

³ ابن العوام: كتاب الفلاحة، دراسة وتعليق غارسيا سانشير و اتيفان فرنانديز ميخو مدريد، الجزء، م1988، ص5، 1.

⁴ ابن العوام: مصدر السابق، ص1.

إخوانه تحصيل الغذاء الضروري لحياتهم، فضلا عن تأدية فرض زكاة ما ينتج للمستحقين منهم، ولذلك "اشتق اسمه من الفلاح وهو البقاء"¹.

وما ينهض دليلا على اهتمام أهل المغرب الأوسط بالفلاحة من خلال ممارستهم اليومية لها وما انتشر من خطابات يومية يتضمن تقويم فلاحي عامي² ازدهرت غراسة الأشجار بالمغرب الأوسط خلال العهد الزباني بفضل ما لقيته من عناية واهتمام فقد كان السكان يعتنون بالبساتين ويغرسون فيها أنواعا مختلفة من الفواكه فمنطقة تلمسان فيها الأعناب من كل الأنواع وكذلك بقية الثمار وهي كثيرة الفواكه الزروع ومن فواكهها الرمان والتين والزيتون، وصفها الحسن الوزان بقوله "تنتج أعنابا من كل الأنواع ذات هيئة رائعة وكرز من كل نوع، وتين شديد الحلاوة أسود اللون، كبير الحجم، طويل جدا يجفف ليؤكل، وأغلب أشجار التين بالأرياف القريبة منها فقد كانت بما بساتين كثيرة، يجففون التين ويصدرونها إلى مختلف المناطق" ما يؤكد القلقشندي بقوله: "الذي ينقل من مسالك الأبصار للعمري فقد ذكر من بين فواكه الدولة الزبانية، التين والعنب والرمان والتفاح على أصنافه والكمثري والمشمش"³.

تتم زراعة الحبوب في الأراضي الخصبة خاصة السهلية منها، كسهل تسالة، وسهل وادي الشلف، وسهل تيارت وسهول متيجة، بالإضافة إلى السهول الساحلية الأخرى كسهل تنس (الظهرة)، ووهران، وهنين، والأراضي المحيطة بتلمسان ومن أهم أنواع الحبوب القمح، الشعير، الحنطة وغيرها وحول نوعية إنتاج القمح وكميته يشير حسن الوزان إلى سهول تسالة المجاورة لتلمسان بقوله: "أما مدينة تسالة فتقع في سهل كبير يمتد على مسافة عشرين ميلا، ينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب" وعن مدينة تنس يقول: "وأما إقليمها فينتج الكثير من القمح" ويذكر أيضا سهل البطحاء "في سهل فسيح ينبت فيه القمح بكثرة، وكانت تحقق لملك تلمسان دخلا يقدر بعشرين ألف مئقال". أما حوض الشلف وما جاوره من الأراضي الخصبة كسهول مليانة وبرشك فنتج إلى جانب القمح، الشعير والحنطة والكتان، هذا إلى جانب المناطق الجبلية كجبل متغارة، وولهاصة وبني يزناسن ومطغرة التي لا تنتج إلا الشعير

¹ ابن الخطيب لسان الدين: مصدر، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، مطبعة الشركة المصرية للطباعة والنشر، الطبعة 2، مجلد 1، 1973م، القاهرة مصر، ص 137.

² محمد الطاهر بن دومة: أخبار وايام وادي ريغ، تقديم وتحقيق محمد الحاكم بن عون، مذكرة ماجستير، قسم تاريخ و الآثار، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010/2011م، ص 69.

³ مختار حساني: المرجع السابق، ص 29.

ويذكر الوزان مدينة برشك بقوله : "وتنتج البادية الجميلة من حولها كثيرا من الكتان والشعير" وإلى جانب هذه المحاصيل تشير بعض المصادر الفقهية إلى زراعة القطن والقطني والذرة والمقاتي فالقطن والكتان من المحاصيل الزراعية الهامة في المغرب الأوسط خاصة في الصناعات النسيجية، مما يفسر انتشاره في مناطق عدة، وهو ما يؤكد حسن الوزان بشأن سكان مدينة ندرومة بقوله : "وينتجون على الخصوص أقمشة القطن لأنه ينبت بكثرة في الناحية"¹.

وكذلك زراعة الزيتون متوفرة في العهد الزيري و المعروفة بالتنوع الجيدة للزيت الذي كان عليه الطلب من طرف الإيطاليين وسكان بلاد السودان فشهد سعره ارتفاعا كسعر القمح².

وشهدت التمور في الواحات الجنوبية نجد إنتاج التمر كان يصدر في المناطق الشمالية وبالخصوص موانئ الدولة الزيرية ومن هناك يتم تصديره إلى أوروبا³.

يعتبر القطن من المحاصيل الفلاحية الهامة التي أدخلها العرب لبلاد المغرب ومنها إنتقلت فلاحته لأغلب مناطق الدولة الزيرية لما له من أهمية بالغة في صناعة النسيج وهذا ما أكده الوزان بحديثه: "تبدوا ندرومة الآن مزدهرة بإنتاج القطن لأن الصناع كثيرون بها وتصنع عنها على الخصوص أقمشة القطن الذي ينبت في المنطقة وكذلك الأراضي المحيطة بمدينة مستغانم الذي كان يبذر بأراضيها فيجود"⁴.

وشهد العهد الزيري زراعة الخضر في أغلب المناطق التابعة للدولة الزيرية وبالخصوص في ضفاف الأودية فقد ذكر القلقشندي من أنواع الخضر والجز والكرنب والخيار والقثاء واللوبياء والكرنب والخيار والقثاء واللفت والباذنجان وقصب السكر والقرع ، وهذا ما ذكره المازوني البصل الذي يغرس في الأحواض⁵ .
وشهدت مدينة وهران والجزائر بإنتاج العسل الذي كان يفوق الحجم المطلوب بالإضافة إلى بروز اسمهم واشتغالهم بزراعة بالتين والأعناب⁶ .

إن أراضي المغرب الأوسط تميزت بالخصبة طيبة المرعى كثيرة الثروة الحيوانية اغنام وغيرها من الحيوانات، و طيب لحمها، فكثرت المراعي في هضبة الشطوط ورعت حيوانات جزائر بني مزغنة في المراعي المحيطة بها

¹ الحسن الوزان : وصف افريقيا ، تر: محمد حجي ، محمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي ،بيروت،لبنان،ج1،ط2، 1983م، ص.13.

² مختار حساني، المرجع السابق، ص167.

³ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي : المصدر السابق، ص176.

⁴ مختار حساني، المرجع السابق، ص31.

⁵ القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص118.

⁶ إدريس بن مصطفى : العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الأيبيرية في عهد الدولة الزيرية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بالقائد، تلمسان، 2006-2007، ص33.

وعرفت تاهرت بمراعيها الغنية فكانت أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال وتوفرت حول نمتيجة المسارح الواسعة للكلا الكثير حتى قيل أن الشاة الواحدة كان يستخرج منها مائتي أوقية شحما¹.
و عرفت تلمسان تربية الطيور، وبالأخص الدجاج، وهذا ما وصفه ابن خلدون في مقدمته أفضل الطرق لتربية الدجاج فقال: "إن الدجاج إذا غذية بالحبوب المطبوخة في بحر الإبل، واتخذ البيض ثم حضنت عليه جاء الدجاج منها أعظم ما يكون، وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذلك البعر مع البيض المحض فيجيء دجاجها في غاية العظم، وقد ارتفع سعر الدجاج في تلمسان أيام الحصار، حتى إنه وصل سعر الدجاجة إلى ثلاثين درهما²".

2- النشاط الصناعي في الدولة الزيانية

شهد النشاط الصناعي في عهد الدولة الزيانية خصوصا في مدينة تلمسان التي كانت تموج بالفعلة والصناع، على اختلاف صنائعهم وأصنافهم، واشتهر اليهود خصوصا منهم على اعتبار معرفتهم و خبرتهم الواسعة في الصناعة ، ومزاولتهم لها منذ القدم، ورغبتهم في موازاة المجال الصناعي ليقفوا المجتمع الزياني الذي يعيشون في كنفه في حاجة دائمة لهم. وبالنظر إلى تعاليم دينهم وجب و فرض على كل يهودي أن يعلم ابنه صناعة منذ صغر سنه، و يعتبر تعليم الابن مهنة من المهن فريضة شرعية ... وبالعموم يتعلم الولد مهنة والده مثل الصياغة والنجارة كأنها مهنة متوارثة من الجد الى جد الجد³.

إن اشتهار بلاد المغرب الأوسط بالمواد المعدنية والزراعية والحيوانية أدى إلى ظهور شرائح كبيرة من الصناع ظهرت بأسمائها كالدباغ والسراج والصباغ والنجار والقطان والطحان والدرع واللجام والصواف والحداد وغيرهم، وبأصنافها المعلم والصانع والمتجول⁴.

ظهر في تلمسان أيام العهد الزياني منطقة الصناعات وسط المدينة وهي تشبه المدن الصناعية في المدن الحديثة اليوم ، سميت هذه المنطقة بإسم "دار الصنعة" السعيدة نموج بالفعلة على إختلاف أصنافهم وتباينا

¹ البكري:المصدر السابق،ص77.87.

² شقدان عبد الرزاق كامل بسام : تلمسان في العهد الزياني 633هـ-962هـ1235-1555م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2002م،ص174.

³ حاييم الزعفراني : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، تاريخ ثقافة، دين، تر: أحمد شحلان، عبد الغني أبو العزم، الطبعة الأولى ، دار الثقافة الدار البيضاء، 1987م،ص84.

⁴ نصيرة عزرودي ، الدولة الزيانية و دورها في تفعيل النشاط الحربي بالمغرب الأوسط، مخبر البحوث الاجتماعية و التاريخية ، العدد 4، جامعة قسنطينة، جوان 2013،ص237..

لغاتهم وأديانهم ، فمن درق ورماح ودلاع ولجام ووشاء وسلاح وخباء ونجار وحداد وصائغ والدباغ وغير ذلك فشلت لأصواتهم وآلاههم الأسماع ، والنجار في الأحكام صنائعهم الأدهان وتوقف دون بحرهم الهائل الأبصار ثم تعرضا كل يوم مصنوعاتهم بين يدي الخليفة أيده الله ، وتزن كل بحجار صنعة المعدلة وينصف العاملون من أرزاقهم عدلا أبدا¹.

فالداسر لمصادر الفترة يلاحظ بأن السكان كانوا يعجبون بالصناعة ويحبون تعليمها ويكرهون القصور فيها ، فقد أورد ابن مريم في ترجمته لابن زكري الذي كان يعتبر من كبار علماء عصره أنه كان في بداية أمره تعلم الصناعة تبل أن يلتحق بالدروس وأن شيخه هو الذي طلب منه ترك عمله مقابل تسديد ما كان يأخذه من معلم الصناعة . ويبدو من خلال المصادر التي تمكن الاطلاع عليها أن العاملين في المهتر خلال هذه الفترة موضوع البحث لا يستفيدون كثيرا لكنهم يقبلون عليها . ولم تكن الحرف تزاوّل في الأسواق فقط بل حتى في المنازل حيث كثر اقبال عليها من قبل النساء العاملات اللواتي يجدن صعوبات في مزاولتها في بعض الحالات لموقف رجالهن منها لذلك طرح المازوني مجموعة من النوازل².

أن ما عرفته الدولة الزيانية هو الذي ساد الفترة الموحدية حيث فرضت رائب على الصناع حسب مدخولهم وترك تقديرها وتحصيلها لأمين كل مصنعة في كل مدينة وهذه الطريقة كانت متبعة في مدينة الجزائر خلال عهد دولة الجزائرية الحديثة مما يجعلنا نؤكد على أنه لم يحدث أي تغيير في الفترة الممتدة ما بين عصر الدولة الموحدية وقيام الدولة الجزائرية الحديثة، علت الدولة الزيانية تطبق النظام الذي عرفه المغرب في عهد الموحدين، والذي يشرف على هؤلاء الحرفيين أمين الصناعة . وقد عرف النشاط الصناعي في أواخر الدولة الزيانية ازدهارا كبيرا نتيجة للهجرة الأندلسية إلى مدن الدولة، ولكن هذا لا يجعلنا نقلل من دور سكان الدولة الزيانية لأن الخبرة الصناعية في العصر الزياني وبالخصوص مرحلتها الأخيرة لم تعد تقتصر على الأندلسيين فقط بل برز عدد من أهل البلاد في مختلف الصنائع³.

كان الصناع في هذه الدولة يتوزعون على ثلاثة أصناف:

¹ أبي زكرياء يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص161.

² مختار حساني، المرجع السابق، ص81.

³ المرجع السابق، ص81،82.

الصف الأول: الصانع الخاص.

الصف الثاني:

الصانع المشترك وهذا الأخير يستقبل الزبائن في دكانه أو متجره يضع لهم حاجاتهم، مثلا أن الزبون يأتي بالمادة الأولية ويطلب منه مثلا نسج ملحفة أو برونوس... الخ، فابن زكري كان يعمل عذا. هؤلاء الحرفيين حيث يأتيه الزبائن بالصوف لنسج ما يحتاجون إليه.

الصف الثالث:

الصانع المتجول مثل صانع الأواني الحديدية يخرج إلى الأرياف يصنع الأواني، والآلات لسكانها وعلى الخصوص المناسب والمغازل والغرابل ويبدو أن بعض أهل الذمة كانوا يزاولون هذا النوع من الصناعة يؤكد ابن مرزوق بقوله: « جوابكم على الرجال من المسلمين ومن أهل الذمة يقصدون بي السلع من النساء في الدور أو لتصليح الحوائج مثل المغزل وغيره¹»

3_النشاط التجاري في الدولة الزيانية

التجارة وأنواعها :

لعب أهل الذمة دورا لا يستهان به في العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية والدول المحيطة بها خاصة مع الدول المسيحية الناشئة في تلك الفترة.

أبرز في العهد الزياني ذميون كثر استحوذوا على قطاع التجارة ساعدهم في ذلك كثير من المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمتها الدولة الزيانية مع نظيرتها المسيحية. غير أن أبرز نشاطاتهم التجارية برزت على الصعيد الخارجي نظرا للأرباح الهائلة التي تدرها هذه التجارة، ولم تلق التجارة الداخلية اهتماما كبيرا منهم

أ-التجارة الداخلية: كما سبقت الإشارة فإن التبادل التجاري الداخلي كان قليلا بالنسبة للذميين داخل أراضي الدولة الزيانية، ذلك أنهم كانوا يهتمون بالتجارة الخارجية أكثر نظرا لما تدره عليهم من أرباح طائلة، إضافة إلى أن المسلمين هم من كانوا يحتكرون التجارة الداخلية سواء داخل المدن أو بين المدن الزيانية بعضها

¹ المرجع نفسه ص85،84.

بعض، وبسبب سكوت الكثير من المصادر عن تناول هذا الموضوع. غير أننا سنحاول من خلال بعض النصوص والإشارات التطرق إلى بعض السلع المتاجر بها من طرف أهل الذمة وأماكن تجارها ومن تولى ذلك منهم.

يذكر المؤرخون أن فنادق الأوربيين المتواجدين داخل أراضي الدولة الزيانية خاصة الساحلية منها كانت تحتوي على دكاكين يضع فيها التجار بضائعهم ثم يعرضوها على الزبائن لبيعها إما عن طريق الجملة أو بالتجزئة عن طريق المزايدة، ويتلقون في هذه المحلات البضائع القادمة من جوف الصحراء حيث يبيعها لهم تجار يهود ومسلمون¹.

بالإضافة إلى انتشار ظاهرة التاجر المتجول التي اشتهر بها اليهود² حيث وردت نازلة في هذا المعنى ضمن نوازل ابن مرزوق يقول فيها السائل: "جوابكم على الرجال من أهل الذمة يقصدون بيع السلع من النساء في الدور أو لتصليح الحوائج مثل المغزل أو غيره، وقد تخرج إليهم . المرأة المباشرة البيع وهي مكشوفة الوجه وخصوصا في زمن الحر، وقد تدفع ما تشتري به من مال زوجها ببخس من الثمن أو من الزرع أو غيره، هل يسوغ تقديم مثل هؤلاء للبيع من النساء " ووردت نازلة أخرى عند المازوني يقول فيها: "سئل أبو الفضل العقباني عن يهود سكنوا في البادية ويتجرون في أنواع المتاجر...". إذ يتبين من هاتين النازلتين انتشار بيع التجول نقدا أو مقايضة³.

إذا يتبين من هاتين النازلتين انتشار بيع التجول نقدا أو مقايضة . ويتبين كذلك انتشار الذميين في أرجاء الدولة الزيانية خاصة في حواضرها الكبرى مثل تلمسان، وهران ومستغانم وتنس، إضافة إلى بجاية التي استولى عليها الزيانيون فترة من الزمن ، ويذكر أن بها سوقا كان لليهود يبيعون فيها منتجاتهم خاصة من الأقمشة والملابس المصنوعة التي تحد رواجها لدى المسلمين.

¹ عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق، ص 138

² Jean Laloum et Jean-Luc Allouche, Les Juifs d'Algérie, Images et textes, Editions du Scribe, Paris, 1978, P 244.

³ نوازل ابن مرزوق، مخطوط المكتبة الوطنية بالحمامة، الجزائر، رقم 1342، ورقة 17.

ب- التجارة الخارجية:

عرفت التجارة الخارجية ازدهارا كبيرا في العهد الزباني، وعقدت عدة معاهدات خاصة مع المسيحيين، وظهر أهل الذمة في ميدان التجارة فاحتكروا الموانئ واستغلوا علاقاتهم مع كل دول حوض البحر المتوسط، ومعرفتهم بالطرق التجارية والتسهيلات التي أتاحتها لهم الدول التي تعاملوا معها، واستفادت هذه الأخيرة من نشاطهم بإضافة مداخل هامة إلى خزائن السلطة الحاكمة، وقد استفادت الدولة الزبانية من التجارة الخارجية أيما فائدة، فضمنت المعاهدات التي عقدتها الدول المسيحية الناشئة في بلاد الأندلس خاصة، حرية التجارة والمبادلات التجارية، فأنشئت لهذا الغرض الموانئ وعمرت بالبضائع وبنيت الفنادق لاستقبال التجار وتمكينهم من ممارسة نشاطهم في أحسن الظروف، وشيدت الأسواق بالمدن الساحلية التي تعرف حركة تجارية واسعة، مثل وهران، هنين وتنس، و برشك... ، وأبرزها تلمسان، هذه الأسواق المسماة القيساريات.

ثانيا المؤهلات الاقتصادية للسودان الغربي

1_ الخصائص الطبيعية للمنطقة

أ- الموقع الجغرافي

تعتبر بلاد السودان الغربي مكانا خصبا، يزخر بالعديد من المميزات، كالمساحة الشاسعة وتنوع التضاريس وتباين المناخ، جعلها ذلك محط الأنظار وثمافت الكثير من الشعوب، بحكم الموقع المهم الذي تحتله البلاد، وثرية بالكثير من الثروات والموارد الاقتصادية البالغة الأهمية كالذهب والرقيق. لقد طرأ على هذه البلاد تغييرات مست العديد من الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، كظهور بعض الممالك كمملكة غانة ومملكة مالي ومملكة سنغاي، اهتمام ملوك هذه الممالك المشكلة لبلاد السودان الغربي بتحسين الأوضاع السائدة في بلادهم، خاصة على الصعيد الاقتصادي، حيث سهروا على ممارسة النشاط الزراعي وحث السكان على ذلك، كذلك اهتموا بالنشاط الصناعي والتجاري، وعملوا على ازدهار التجارة، وقد كان لذلك دور في تنشيط الحركة التجارية، بين بالبلاد السودان الغربي والمناطق المجاورة لها.

ب- التضاريس :

أما بالنسبة للسلسلة الجبلية لبلاد السودان الغربي، نجد أن الجبال منحصرة في المنطقة الغربية والشرقية من البلاد، ففي الغرب تعتبر فوتا دجالون من أهم المناطق الجبلية، والممتدة في كل من غينيا كوناكري وغرب ليبيريا، وشمال سيراليون.

ويعتبر جبل نيمبا (جنوب غينيا كوناكري قرب الحدود مع ليبيريا وساحل العاج)، من أعلى القمم الواقعة في منطقة فوتا دجالون، إذ يصل ارتفاعه حوالي 1752 متر.

بينما يبلغ الارتفاع الوسطي في شمال هذه الجبال قرب حدود السنغال نحو 1500 متر، أما المنطقة الوسطى من هذه الجبال فإن متوسط ارتفاعها هو 900 متر، أما في الشرق توجد مرتفعات أداما (تقع في الكاميرون)، يبلغ معدل ارتفاعها حوالي 1035 متر¹.

و الأمر الذي ميز هذه المنطقة أكثر وأبرز طابعها الجغرافي هو الأنهار، التي كانت دامة الجريان، وتميزت بمياهها العذبة التي كانت صالحة لجميع الاستخدامات، نذكر من أبرز هذه الأنهار نهر السنغال الذي بلغ طوله حوالي 1411 كلم، ينبع من وسط غينيا كوناكري، ويصب في المحيط الأطلسي، عند مدينة سان لوي (تقع في السنغال)، أما بالنسبة لنهر النيجر فقد بلغ طوله أيضا 4 حوالي 4211 كلم، ينبع من الحدود الغينية كوناكري²

ج- المناخ:

عرفت بلاد السودان الغربي تنوعا في المناخ السائد، ويظهر هذا الاختلاف من منطقة إلى منطقة أخرى، وقد غلب على هذه البلاد المناخ شبه استوائي، الذي يتميز بارتفاع درجة الحرارة طول السنة، وزيادة في الرطوبة³، تكثرت الأمطار في هذه المناطق على العموم، غير أنها تقل كلما اتجهنا نحو الشمال، وتبقى المناطق الساحلية تتميز بغزارة الأمطار⁴

ويمكننا من خلال ما سبق ذكره استنتاج أن بلاد السودان الغربي ميزتها أربع أقاليم مناخية وهي :

- المناخ الصحراوي: الذي يسود المناطق الشمالية، المتاخمة للصحراء الكبرى، ويمتد لصحاري النيجر ومالي، يتميز بشدة الحرارة، وقلة التساقط وندرة الأمطار.

¹ محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدي المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، 2117م، ص.23.

² المرجع نفسه: ص. 24.

³ محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص.23.

⁴ نعيم قداح: المرجع السابق، ص.8.

-المناخ الساحلي الشمالي: يتميز بنوعين من الفصول أحدهما جاف صيفا والآخر ممطر شتاء، ونلاحظ أن هذا المناخ يتميز بقلّة التساقط في بعض المناطق، وكثير التساقط في غيرها من المناطق، كسواحل موريتانيا والسنغال.

- المناخ الغيني: وهو مناخ شبه استوائي، يرتفع متوسط حرارته إلى 22°، وهو يتميز بالجفاف صيفا، وكثرة تساقط الأمطار شتاء، يمتد من غينيا إلى النيجر.

-مناخ المرتفعات: يسود المناطق الجبلية يميل إلى البرودة، كما أنه يتميز بغزارة وكثرة تساقط الأمطار¹.

¹ المرجع نفسه:ص10.

2_ الأنشطة الاقتصادية بالسودان الغربي

أ- النشاط الفلاحي:

بالنسبة لبلاد السودان الغربي، فقد اعتمد سكانها، على النشاط الزراعي، وهناك الكثير من الإشارات التي جاءت في المصادر، الدالة على ذلك وأبرزها ما احتوته المصادر الجغرافية حول ذلك، كابن الفقيه الذي ذكر أن من بين محاصيلهم الزراعية الذرة واللوبيا ويسمون الذرة بالدخن ، كما أشار ابن سعيد إلى بلد التكرور في قوله: "الغالب على مأكلمهم أنواع القطنية، عصائد وغيرهم محتمرة والخبز عندهم لا يوجد إلي عند الملوك"¹.

وهذا ما هو إلا دليل عن وفرة الإنتاج الزراعي في بلد السودان الغربي، كذلك اشتهرت بزراعة قصب السكر، الذي يستخدمونه في صناعة القسي والسهم ومن أشجارهم القطن، وكذلك مدينة أودغست تميزت بتربتها الخصبية وكثرة نخيلها، وطعام أهلها الذرة واللحم².

وتركزت الزراعة بشكل عام على جانبي نهر النيجر والسنغال، وشهدت الزراعة تطورا، واعتمدوا على مياه النهرين (نهر السنغال ونهر النيجر) لسقي مزروعاتهم، كما أنهم استغلوا مياه الأمطار³، واعتاد الفلاح استخدام الأدوات البسيطة في عمله، منها معزقة ذات مقبض صغير وفأس وسكين، واتبع الفلاحون في زراعتهم نظام الزراعة بالراحة، يزرعون الأراضي عامين أو ثلاثة متتالية، ثم يتركونها لتعود لسيرتها الأولى⁴.

واشتهرت مدينة جاو بتنوع محاصيلها الزراعية، كالذرة التي تعد الغذاء الرئيسي لمعظم السكان، والبطيخ والقرع والبصل والبادنجان والسلق والفاصوليا والحمص، وزراعة الحمضيات كالبرتقال والليمون⁵، وكما اشتهرت بعض القبائل بممارسة النشاط الزراعي كقبائل السونغاي التي اهتمت بزراعة الدخن وصيد الأسماك⁶.

¹ ابن سعيد ، بسط الأرض في الطول والعرض ، خوان قرنيط خينيس ، معهد موالى حسن للنشر والتوزيع ، تطوان ، 1952م ، ص.22.

² لدمشقي ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية للنشر والتوزيع ، بتبورغ ، 1245م ، ص.241.

³ عبد القادر نوري دريد ، ازدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي بعد القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي كما وصفته المراجع العربية الاسلامية ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، ع.21 ، الكويت ، 2114م ، ص.113

⁴ ب. سلويد ، إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي ، تر: شوقي جلال ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1921م ، ص.29.

⁵ زمان عبيد وناس ، الزراعة والصناعة في جاو عصر دولة سونغاي في عهد ألساكي 888-999هـ ، مجلة كلية التربية ، العراق ، 2114م ، ص.312.

⁶ نقول زيادة ، المرجع السابق ، ص.312.

وقد نشطت الزراعة في مملكة مالي أيضا، وذلك نظرا لخصوبة تربتها، وعذوبة مياهها فضال على الكثافة السكانية التي شهدتها المملكة، مما نجد معظم السكان اتجهوا لممارسة النشاط الزراعي، وقد ازدهرت الزراعة، وانعكس ذلك على الواقع الاقتصادي لها.

كما نشطت الزراعة أيضا في مملكة سنغاي، فقد كان الملك لوحده يملك ضياع و مزارع شاسعة وواسعة، وضع فيها العبيد والفالحين للعمل بها مقابل أجر يدفعه لهم.

يذكر إسماعيل العربي أن الضيعة الواحدة للملك كان يعمل فيها مادة عبد، وكانت تنتج ألف سوموس (250طن) من الأرز¹، وكانت المزروعات متنوعة، تشمل الذرة والقطن والسورغو وهو نوع من المزروعات، وكان الأرز يشكل غذاء لأهل المملكة وسكانها، إضافة للخضر والفواكه بمختلف أنواعها.

وامتازت مناطق النيجر الأعلى والسواحل بكثرة الماء، على سطح الأرض، لذا كانت تربتها تمتاز بالخصوبة، وصالحة لزراعة مختلف المزروعات، كزراعة الخضر كالبطاطا والذرة والتوابل بمختلف أنواعها، وزراعة الأرز بدرجة أولى، وقد شهدت ازدهارا كبيرا الاهتمام السكان مما انعكس ذلك إيجابا على الحياة الاقتصادية لبلاد السودان الغربي، ومن أهم محاصيله الزراعية الذرة والأرز، وقد كانت أسعار الذرة مناسبة إذ بلغت قيمة التسعين مدا من الذرة بمدينة تكدا ما يساوي مئقال من الذهب، كما مثل الأرز محصولا مهما بالنسبة للسكان اعتمدوا عليه كغذاء رئيسي.

واشتهرت زراعة الحنطة والموز والعنب والرمان، إضافة لذلك كانت المنطقة تزخر بالثروة الحيوانية، والتي كان لها فائدة كبيرة، حيث يذكر البكري في قوله: "جل لحومهم الحوت و لحوم الإبل المقدد.."².

كما ذكر ابن سعيد بعض الحيوانات كالطواويس والدجاج والغنم والحمير، وقد استخدموا جلود الحيوانات في صناعة الألبسة كجلود النمر³.

¹ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص.334.

² لبكري، المصدر السابق، ج 2، ص.21.

³ ابن سعيد، المصدر السابق، ص.113.

ب-الصناعة:

من أهم المعادن التي كانت تزخر بها بلاد السودان الغربي، وكان لها بالغ الأهمية في الجانب الاقتصادي، معدن الذهب¹، الذي كان يوجد بكثرة في كل بلاد السودان وليس الغربي فقط، ومن بين الإشارات التي جاءت بها المصادر، ذكر القزويني على وفرته في غانة، فقد كانت مقصدا للكثير من التجار ، وقد ذكر صاحب الاستبصار أن ملك غانة كان يضع على رأسه تاجا مرصعا بالذهب، كذلك أبناء الملوك والوزراء والخاصة كانوا يستعملون الذهب للتزين².

وقد أشار ابن حوقل أن ملك غانة كان يبادل ملك أودغست الذهب بالملح ، و اشتهرت بلاد التكرور بوفرة معدن الذهب، حيث يسافر إليها التجار من سادر البلاد بمختلف أنواع السلع ويخرجون ، ثم يأخذونه ليسبك ويزبق منها محملين بالذهب³ ، كما ذكر البكري أن الذهب موجود بكثرة في قوله: "من الغرائب عندهم أن الذهب جزاف عددا بال وزن والكرات تبايعونه وزنا لا عددا..".

كما اشتهرت مدينة تمبكتو بوفرة معدن الفضة، الذي كان يستخدم في صناعة السيوف والسهام ، كذلك مملكة مالي اشتهرت بوفرتها، كان لمعدن الفضة أهمية كبيرة كانوا يستخدمونه في صناعة السيوف والرماح⁴.

أما بالنسبة لمعدن الملح كان يوجد بكميات قليلة، وتركز وجوده في بعض المناطق فقط، و اشتهرت مدينة تغازا بكثرة معدن الملح بأرضها، وقد اعتمد عليه سكانها في العديد من الأعمال على غرار المعاملات التجارية، استعمل كمادة في بناء أسوار المدينة وجدرانها، وسقوفها وأبواب منازلها، كانت مصنوعة من صفائح ملحية ملفوفة بقطع من جلد الحيوان، لتبقى محافظة على شكلها من التلف⁵.

1. زكرياء بن محمد محمود القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، دار ناشر للتوزيع و النشر، بيروت، دون تاريخ نشر، ص.57.

2 المرآكشي: المصدر السابق، ص.221.

3 ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، أنور محمد زباني، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2112م، ص.132.

4 الحسن الوزان: المصدر السابق، ص.144.

5 ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، تقديم وتحقيق: محمد عبن المنعم العريان، مراجعة: مصطفى القصاص، دار احياء العلوم، بيروت، ج 1، ط1، 1987م، ص.724.

كما اشتهرت سبخة أوليل بوفرة معدن الملح، والتي كان يحمل منها الملح إلى سائر بلاد السودان خاصة السودان الغربي ، وقد بلغت الصناعة في السودان الغربي تطورا كبيرا، وقد كان لذلك دور كبير في ازدهار الحياة الاقتصادية بالمنطقة¹.

ت-التجارة :

ازدهرت الحركة التجارية الداخلية والخارجية لبلاد السودان الغربي، وذلك بفضل تطور وظهور المدن التجارية، مثل كومي صالح و تمبكتو وجني، وكانت هذه المدن ملتقى للتجار ومقرا تجاريا لعرض مختلف البضائع والمنتجات القادمة من شمال إفريقيا، ومنها تتوزع إلى مالي والنيجر الأعلى .

وقد شهدت ممالك السودان الغربي ومن أبرزها مملكة غانة حركة تجارية واسعة، ومزدهرة، فقد ارتبطت تجارتها بالعديد من الأقطار خاصة بلاد المغرب ، وهذا ما أشار إليه الإدريسي في قوله: "واليتها يقصد التجار المياسير من كل البلاد المحيطة بها ومن سائر بلاد المغرب الأقصى....".

اشتهرت بلاد التكرور بعلاقاتها التجارية المتميزة مع المغرب الأقصى، حيث يسافر إليها التجار بالصوف والنحاس والخرز، ويخرجون منها محملين بالذهب والعبيد، وإلى جانب ذلك أيضا عرفت مدينة أودغشت كسوق ومركز تجاري مهم وكانت مقصدا وملتقى للتجار ، وكانت تجارة الذهب والعبيد والملح من التجارة الرائجة في تلك الفترة وبلغ صيتها كل أقطار العالم. وقد وصف لنا ابن حوقل ذلك من خلال قوله: "بلغ الحمل من الملح في دواخل بلد السودان وأقاصيهما بين مائتين وثلاثمائة دينار..."² ، وقد برع في هذا المجال التجار الذين كانوا يشكلون طبقة كبيرة، فأطلق عليهم الوانكارا أو الديولا، كما برز عمل مجموعة من القبائل في النشاط التجاري و تحديدا في المتاجرة بالذهب، و التي من أبرزها السراكوال والمالانكة³.

1 في. جي. دي: المرجع السابق ، ص.37.

2 ابن حوقل، المصدر السابق، ص.92.

3 نعيم قداح، المرجع السابق، ص.127.

كانت القوافل تخرج من بلاد المغرب متوجهة إلى غانة حاملة معها معدن الملح، حيث يشتد الإقبال عليه من طرف المناطق المجاورة كونقاره¹، وكان التجار يعبرون أهم مركز تجاري وهو سجلماسة.

بعد هذه المسيرة يصلون لمقصدتهم بقوافلهم المحملة بالبضائع والسلع، وكانوا يبادلونها بمعدن الذهب، ويجعلونه دنانير يتعاملون بها في بالدهم، فقد كان تجار أوغله² يحملون لهذه البلاد التمور ومختلف المنتجات إلى مدينة كوكو، ومن ثم كانوا يتجهزون للذهاب إلى كوغة³، والتي يفصلها عن غانة مسيرة خمسة عشر مرحلة، محملين بالودع والملح والنحاس، ألنها كانت تزخر بمعدن الذهب .

وقد وصف لنا الزهري عملية التبادل التجاري التي كانت تتم بين التجار، من خلال قوله: "يجلب إليها من المغرب التمر والزبيب والحريير... وكذلك يجلب إليها من الأندلس ومن افريقية الزئبق والزعفران والثياب المرسية" ، من بين هذه المدن التي برزت كأسواق تجارية مدينة جنى وذلك بفضل موقعها الجغرافي المهم، وغيرها من المدن الأخرى .

كان يعرض بهذه الأسواق إلى جانب المنتجات الأخرى العبيد للبيع وكانت لهم أسواق خاصة، فقد ذكر الوزان أنه يوجد بمدينة جاغو⁴، سوقا خاصة لبيع العبيد، وذكر بأنه يتواجد بها عدد لا يحصى من الرقيق، ذكورا ناثا، و الفالفتاة ذات السن 15 تباع بستة مثاقيل، وكذا الفتى، أما سعر الطفل الصغير، كان يساوي ثمنه نصف المبلغ المذكور سابقا، أي الثلث حوالي ثالث مثاقيل تقريبا⁵.

¹ ونقاره: هي عبارة عن جزيرة طولها ثلاثمائة ميل، وعرضها مادة وخمسون ميال، والنيل يحيط بها من كل الجهات طوال السنة وهي جزء، سغمارة، سمقندة، غريبيل. للمزيد أنظر: جزء من بلاد غانة، تبعد عنها مسيرة ثمانية أيام، وتنقسم لعدة مناطق أبرزها ترقى، البكري، المصدر السابق، ج 2، ص.24؛ الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي...، ص3.

² أوغله: إحدى القرى الواقعة على الطريق الرابط بين تاهرت والسودان الغربي في مفازة، لمن أراد الخروج إليها ينحرف إلى القبلة وهي كثيرة التمر والنخيل. للمزيد حول ذلك. أنظر: البكري، المصدر السابق، ج 2، ص.122؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص.312.

³ كوغة: إحدى المدن الواقعة في بلاد السودان، أهلها مسلمون وقد اشتهرت بموقعها الجغرافي المهم، وبرزت كمركز تجاري مهم يقصدها التجار محملين بالملح والودع وغير ذلك من السلع والبضائع، حولها معدن التبر، وهي أكثر بلاد السودان ذهبا. للمزيد أنظر: المراكشي، المصدر السابق، ص.222.

⁴ تعتبر جاغو من بين المدن التابعة لمملكة مالي، تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر، وترتفع بحوالي 244متر من فوق سطح البحر. للمزيد حول مدينة جاغو، وأهميتها كسوق ومركز تجاري. أنظر: المقرئ: ص.159

⁵ الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص.149.

الفصل الثاني:

الطرق و المسالك التجارية بين

الدولة الزيرية و السودان

الغربي وأهم المراكز التجارية

الفاعلة في العلاقات

أولاً: الطرق و المسالك التجارية بين تلمسان و السودان

الغربي

ثانياً: أهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات بين الاقليمين

الفصل الثاني: الطرق و المسالك التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي وأهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات

أولاً: الطرق و المسالك التجارية بين تلمسان و السودان الغربي

1_ الطرق البرية :

كانت للمسالك التجارية دور في ربط العلاقات بين منطقة جبال القصور والجنوب الغربي وتلمسان عاصمة الدولة الزيانية وبلاد السودان الغربي حيث لم تكن الصحراء تشكل عائقاً دون الاتصال الحضاري المستمر الذي استفادت منه القارة الإفريقية وكانت المبادلات التجارية بينهم تتم عبر طريقين رئيسيين¹:

الأول : الطريق من تلمسان إلى تازة ففاس ثم تادلا فشعب الصفا ومنها إلى تقريش ثم إلى سجلماسة فبلاد السودان الغربي وحسب ابن حوقل أيضاً فإن القوافل التجارية القادمة من تلمسان كانت تعبر بلاد السودان الغربي عبر سجلماسة ، وذكر أنها كانت تجتاز بلاد المغرب إلى سجلماسة كي تعبر بعد ذلك إلى السودان ورغم طول هذا الطريق إلا أن القوافل التجارية كانت تقصده لأنه آمن من اللصوص وكان طريق سجلماسة أودغست أو سجلماسة تغازي تمر به القوافل التجارية في منتصف القرن 8هـ / 14م ، وهناك طريق آخر ينحدر من سجلماسة إلى تغازي ومنها إلى تمبكتو² .

والثاني : الطريق الذي يربط تلمسان بتوات عبر وادي مفروش باتجاه سبدو حيث يمكن للقوافل اجتياز السهول العليا ومنها تتجه نحو توات ثم بلاد السودان الغربي ، وهناك طريق غدامس غات إلى إير ومنها إلى ممالك الحوصة ، ولم يظهر طريق فزان كوار إلا قليلاً ولكنه لا يوجد شك أنه هو أسهل طريق للقوافل عبر الصحراء كان استعماله دائماً وبالرغم من أن الطريق فزان كوار كان يحمل كمية كبيرة من الملح في اتجاه الجنوب ، فإن كان أساساً طريقاً للعبيد الذين كانوا يمثلون حينذاك سلعة من أهم السلع³ .

كان المغاربة يمرون من تونس وطرابلس وتديكلت وقورارة تمنطيط ثم عين صالح مشرية وعين الصفراء وفاس ليصلوا إلى عواصم السودان الغربي ، كانت الطرق البرية التي تربط منطقة جبال القصور والجنوب الغربي بتلمسان وبلاد السودان الغربي تمر بالحماطات التي تحولت فيما بعد إلى مدن تجارية مثل سجلماسة

1 خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ص. 249.

2 نبيلة حسن محمد، في تاريخ إفريقيا الإسلامية ، دار الألفية الجامعية ، الجزائر ، 2013 ، ص 141.

3 نبيلة حسن محمد ، المرجع السابق ، ص 144.

الفصل الثاني: الطرق و الممالك التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي وأهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات

وتوات و تغازي ، فكانت هذه القوافل التجارية تجتاز المغرب إلى سجلماسة باستمرار دون انقطاع وهذا دليل على غزارة التبادل عبر هذا الطريق.

ومن هنا يمكن القول بأن الطرق التجارية لعبت دورا كبيرا في تنشيط التجارة بين بلاد السودان الغربي ومنطقة جبال القصور وتلمسان مما جعل التجار يندفعون نحو هذه التجارة وأقاموا علاقات جيدة وقد وصلوا بها إلى السنغال والنيجر حيث كان السودان الغربي دعما لبعض جوانب الحضارة الاسلامية لما وفره من العاج الأسود الأبنوس¹ ، ولتأمين الطرق التجارية قامت القبائل المجاورة للطريق بحراسة هذه القوافل من اللصوص وقطاع الطرق.

لقد مكنت القوافل التجارية بين تلمسان والسودان الغربي من اختراق مفازة الصحراء التي كانت تشكل عائقا طبيعيا بين المنطقتين نظرا لشاسعة مساحتها ومخاطرها²، من حيث ندرة المياه التي لا توجد إلا بعد فاصل زمني يقدر من يومين إلى أربعة عشر يوما³ ، ويكون ذلك بعد قطع القوافل مسافة تزيد عن مائة أو مائتي ميل، مع ملوحته، وشدة الحرارة، وكل ذلك قد يؤدي إلى فقد الحياة وقد وصف الحسن الوزان الصحراء التي تسير بها قوافل تلمسان بأنها أكثر "وعورة ووحشة، يمر بها التجار الذاهبون من تلمسان إلى تمبكتو ويقطعونها من أبعد طرفي قطرها، فتؤدي صعوبة المرور إلى موت العديد من الناس والدواب، لفقدان الماء"⁴.

ومن مخاطر الصحراء كذلك العواصف الرملية التي تذهب معالم الطرق في المفاوز الشاسعة⁵، والوحوش والحيات، والغارات، وحتى الضرائب والإتاوات الكبيرة التي كانت تفرض على القوافل ، واتساع المسافة، حيث قدرت المسافة المستقيمة بين تلمسان تفرض على القوافل وتمبكتو بأكثر من ألفي كيلومتر.

1 عمار غرايسة ، الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية ، ورجلان أمودجا، حوليات تاريخ وجغرافيا، العدد 5، المركز الجامعي الوادي ، 2011 ، ص 99

2 الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 153.

3 الإدريسي: زهرة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: روييناشي والأخرون، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 1422هـ/ 2002م ، ج 2، ص 18.

4 الحسن الوزان: المصدر نفسه، ص 150.

5 الإدريسي، المصدر السابق، ص 18.

الفصل الثاني: الطرق و الممالك التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي وأهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات

ورغم هذه الصعوبات المضنية والمكلفة ماديا ومعنويا وربما حياتيا فقد تجاوزتها ، وساهمت بشكل كبير في التبادل التجاري بين المنطقتين، وفي تنمية هذا النشاط إلى البلدان الأوروبية، كما ساهمت هذه القوافل التجارية من جهة أخرى في نقل عوامل الحمل الحضاري، والتي لم تستطع جيوش الفتح الوصول إليها وتحقيقه بحكم العوائق الطبيعية.

السلع وطرق التبادل التجاري :

زادت التجارة مع بلاد السودان الغربي فأصبحت تلمسان ومنطقة قصور الجنوب الغربي محتكرة للتجارة معها وأصبحت التجارة رائجة في هذه الأقاليم في الكثير من السلع التي كانت في بلاد المغرب الأوسط تستوردها من الخارج على سبيل المبادلة كالزجاج والأجهزة والعتاد المختلفة أو تصدرها من بضائع لبلاد السودان الغربي كالتيبر المسبوك والذهب والعاج والحريز والكتب والجلد والمرجان والرقيق¹ .

أما السلع التي كان يتم ارسالها إلى بلاد السودان هي المنسوجات ، الأسلحة بأنواعها والمصنوعات الزجاجية ، العطور ، القرنفل ، البخور،المنتجات الزراعية ،وكانت هذه القصور تشتري من السودان الغربي الرقيق والذهب والنحاس وريش النعام والبول السوداني².

فإن صحراء الجنوب الغربي بالمغرب الأوسط يوجد بها قصور متعددة أطلق عليها اسم منطقة جبال القصور تمتد من المشرق إلى المغرب محطات لراحة القوافل والتجار المترددين للمغرب إلى بلد مالي من السودان الغربي لهذا العهد ومن بلد مالي إليه .وقد واجهت التجارة مع بلاد السودان مشاكل في المسالك كوجود حيوانات ضارية وشدة الحرارة وقلة المياه في المناطق الصحراوية مما جعلها تشتد في فصل الشتاء وزاد التأثير والخطر في القرن 9 هـ / 15م بضعف قوة الممالك في السودان الغربي ، وتنامي خطر القبائل التي تصدت للتجارة والقوافل التجارية .

¹ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الأمة ، الجزائر ، 242.

² بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص 215.

الفصل الثاني: الطرق و المسالك التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي وأهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات

ثانيا أهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات بين الإقليمين

1_المراكز التجارية الزيانية

لقد تعبت تلمسان دورا بارزا في الحركة التجارية نحو بلاد السودان لاسيما في العهد الموحيدي ، بحكم موقعها الجغرافي وسبب وجود طرق مختصرة بينها وبين بلاد السودان ¹

وفي عهد دولة بني زيان كانت التجارة تتم عن طريق القوافل ، ويذكر عبد الرحمان بن خلدون أن القوافل التي كانت تمر على أيامه أواخر القرن الرابع عشر الميلادي بالهقار كان عدد جمالها يبلغ اثني عشر ألف جمل في أحيان كثيرة ، وكانت القوافل التجارية إلى السودان الغربي تخترق الصحراء من جميع جوانبها ، أما اتجاهها فشمال إلى جنوب وبالعكس ، وأهم المسالك التي كانت تربط بلاد المغرب الأوسط و السودان الغربي عديدة غير أن المشهور منها هي :

- 1- من سجلماسة ، ينطلق إلى والاته و منها إلى تومبوكتو وجني و غاو .
- 2- من تلمسان يمر هذا الطريق بغرداية و توات².
- 3- من تقرت وورقلة ، ينطلق طريق آخر إلى غاو مباشرة وهذا الطريق يتصل شمالا ببضائع الموالي الجزائرية الهامة في الشمال ، مثل جزائر ين مزغنة و بجاية وغيرهما .
- 4- من واحة الجريد في جنوب تونس ، ينطلق طريق غالبا ما تمر قوافله بورقلة و سوف و غدامس .
- 5- من طرابلس الغرب على الساحل الليبي ، ينطلق طريق يمر بغدامس و يمر فرع منه بفزان و ينتهي إلى بورنو و غاو .
- 6- وينطلق من مصر طريق بواحة سيوة و بزويلة و نادمكة و ينتهي إلى غاو توميو كتو .

وكانت هناك مسالك أخرى هامة ترتبط بجنوب الصحراء وبلاد السودان الغربي ، فكانت ترتبط توات انطلاقا من تيدكلت بأهم المراكز التجارية على نهر النجير ، و أهم المسالك التي بقيت مستعملة من طرف

¹ حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام والعربية فيما يلي الصحراء الكبرى، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1983 ، ص 84.

² لقد كانت تشكل توات من عدة واحات تمتد على هيئة شريط تتوزع فيه القصور والبقع المزروعة على المسافات نقل أو تقصر حسب كثافة الواحات وإمكانات الري ، ويمكن قطع المسافة بين قصر وآخر في أقل من يوم وفي أقصى الحالات في ثلاثة أيام ، فكانت واحات توات تشكل في الواقع مراحل تتوفر فيها كل أسباب العيش للقوافل التجارية.

الفصل الثاني: الطرق و الممالك التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي وأهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات

القوافل النهائية القرن التاسع العشر مسلکان :مسلك يربط أقبلي بتمبو أقبلي بتمبو كتو حوالي 1400 كلم وكان هذا المسلك يتوفر على المصادر المائية والكلأ للدواب والمؤن للرحالة خلال مراحل السنة .

أما المسلك الثاني فيربط بمجموعتي قصور إن صالح و أقبلي بالمراكز التجارية في الضفة الشرقية لنهر النيجر كمركزي كانو وكوكا ،ومر هذا المسلك بمرتفعات تاسيلي عبر أدغاغ وكانت هناك مسالك أخرى تربط توات بمراكز الشمال¹.

ما الطرق التجارية بين تلمسان الزيانية و بلاد السودان فكانت تنطلق من تلمسان فتتجه غربا نحو قاس ومن هناك تأخذ طريقها إلى سجلماسة نحو بلاد السودان فتقطع رحلاها على ثلاث مراحل كبرى هي :

المرحلة الأولى: تنتهي عند سجلماسة أو توات أو عين صالح و يربط بين كل محطة من هذه المحطات وبين تلمسان طريق و أهم هذه الطرق طريق تلمسان - سجلماسة الذي ينقسم بدوره إلى فرعين.

الأول يصل بين تلمسان و مدينة وحدة ليصل إلى منطقة تازة عبر تاويرت وجرسيف إلى فاس ، ثم يقطع بعض المدن في الجنوب و منها تادلا، و أغمات وريكة و درعة ثم سجلماسة.

أما الفرع الثاني فكان يربط تلمسان بوحدة ثم يجبل نامريت و ينتهي إلى سجلماسة و يلتقي الفرعان في سجلماسة وتبلغ المسافة بينها و بين عاصمة الدولة الزيانية حوالي عشر مراحل² طريق تلمسان توات: ينقسم هذا الطريق إلى ثلاثة فروع:

1- فرع يشق ، عين الصفراء تيوت واد الناموس و ينتهي في شبه خط مستقيم عند سبخة كورارة .

2- فرع ثاني يتجه إلى سباو و يعبر قصر بوسمغون إلى تميمون

3- فرع ثالث يمر عبر قصر الأبيض سيدي الشيخ إلى تميمون

¹ محمد أعفيف المسالك الصحراوية تات حلقة اتصال بين المغرب وإفريقيا الغربية ، مجلة العصور الجديدة العدد رقم 20.19 ، ص 54-58.

² لطيفة بن عميرة ،الرحلة التجارية بين تلمسان وممالك بلاد السودان الغربي ،حولية المؤرخ ، العدد 5 جوان 2005 ، ص 84.

الفصل الثاني: الطرق و المسالك التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي وأهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات

. أما المرحلة الثانية فكانت تتمثل في الطرق التي تربط سجلماسة وتوات و إن عالم نحو بلاد السودان الغربي ، فمن ولاية إلى بغازا مدينة مناجم الملح ثم إلى دولان بداية بلاد السودان. أما المرحلة الثالثة و تمتد، الطرقات في داخل بلاد السودان الغربي من ايولاتن تسير القوافل إلى زاغارا ثم بلد أرسو من مملكة مالي¹.

2_المراكز التجارية السودانية

هناك طريقان رئيسيان رصدتهما الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق، وبقيتا تشكلان أهم الطرق الواصلة بالسودان الغربي ، الطريق الأول قال عنه: " وأما من أراد الطريق إلى تلمسان من مدينة سجلماسة فالقوافل تسير من تلمسان إلى فاس إلى تادلة²، إلى بني درعة الي سجلماسة³.

والطريق الثاني نادر السلوك، لأنه يمر عبر مفازة الصحراء، وطريقه من " تلمسان إلى قرية تارو مرحلة، ومنها إلى جبل تامديت مرحلة ومنها إلى غايات وهي قرية خراب مرحلة، و بها بئر ماء، ومنها إلى صدرات مرحلة،...ومنها إلى جبل تبوي مدينة خراب وبها عين ماء،...إلى فتات بئر في وسط الصحراء مرحلة ومنها إلى شعب الصفا مرحلتان، ومنه إلى تندلي وهي قرية عامرة مرحلة ومنها إلى قرية تمسنان مرحلة ، ومنها إلى تفريت مرحلة ومنه إلى سجلماسة ثالث مراحل ، وهذا الطريق قليل سالكوه"⁴.

ومن سجلماسة تتوجه القوافل نحو بوابة مالي واحة ولاته ثم إلى تمبكتو أو إلى أودغشت في موريتانيا . وكذا إلى منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر وقد وصفها ابن السعيد بقوله " وهي طريق طويلة عريضة يكابدون فيها شدة العطش ووهج الحرور"⁵

والحقيقة أن هذا الطريق الأخير قد انتعش في القرن السابع الهجري/13م، يدعى "طريق الذهب"، بعد أن استولى عرب المعقل (المنبات) على سجلماسة وأعلنوا تبعيتهم إلى السلطان الزياني يغمراسن بن زيان ،

1 لطيفة بن عميرة ، المرجع السابق ، ص58.

2 الحسن الوزان، المصدر السابق، جزء 2 ، ص 21.

3 الإدريسي، المصدر السابق، جزء 1 ، ص 249 .

4 الإدريسي: المصدر نفسه ، جزء 1 ، ص24.

5 ابن سعيد المغربي : بسط الأرض في الطول و العرض ،تج: خوان قرنيط خينيس ، مطبعة كريماديس ،تيطوان ،1957، ص.47.

الفصل الثاني: الطرق و الممالك التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي وأهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات

وكانت سجلماسة في معظم النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ 13 م ، تابعة سياسيا للزيانيين¹، وفي هذه الأثناء كانت تلمسان تستثمر ميناء هنين في ربط تجارتها مع الأوروبيين.

وكان يغمراسن بيعت أحد أبنائه كل سنة إلى سجلماسة لجمع الخراج، ولا يبعد أن تكون القوافل التجارية مزدهرة إلى سجلماسة ثم بلاد السودان الغربي نحو مدينة تنبكتو وأودغشت².

والجدير بالملاحظة أن الموسم المناسب لسفر القوافل المتوجهة إلى بلاد السودان عبر الصحراء هو فصل الخريف، تفاديا للزوابع الرملية، والحرارة المفرطة، وذلك لانخفاض درجة الحرارة فيه، وتجنب الهالك من العطش³.

وفي النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ق14م وبعد أن تراجع دور طريق سجلماسة التي كانت أوضاعها الأمنية غير مريحة، صار إقليم توات الذي يقع شرقي سجلماسة ومنطقته الشرقية تمنطيط مركز عبور بالغا الأهمية للتجار القادمين من المغرب وبالخصوص من تلمسان والمتوجهين إلى مالي من السودان الغربي أو العكس، حيث كان يقوم بتوفير الحماية الآمنة للقوافل التجارية عبر هذا الخط عن طريق الاستئجار، بحيث أصبح من الطرق الأساسية الآمنة للتجار، أو قل الطريق الأساس للتجارة البيينية بين المغرب وبلاد السودان⁴. وكان له دور كبير في ازدهار التجارة والقوافل التجارية نحو بلاد السودان 50 ، نظرا لما تمتعت به المنطقة من الاستقلال الذاتي عن السيادة المرينية حيث كان لقبائل المعقل حضور قوي وتنظيم خاص لم يفلح المرينيون في لجمه واحتوائه.

ولابد من الإشارة إلى وجود خطوط تجارية كانت تربط الجهات الشرقية للدولة الزيانية بالسودان الغربي، وقد برهنت هذه الخطوط على حيويتها وفعاليتها التجارية، حيث شكلت منطقة وادي مزاب⁵ وورجلة⁶ مركزين أساسيين للتجارة بين مدن الجزائر و بجاية و قسنطينة وحتى تونس، لتجتمع القوافل كلها

¹ ابن أبي زرع، روض القرطاس ص 201.

² كانت أودغشت مركزا تجاريا كبيرا، يفد إليه التجار من مختلف الجنسيات.

³ الإدريسي: المصدر السابق، ص 107.

⁴ ابن خلدون: المصدر السابق، جزء 7، ص 76-77.

⁵ الحسن الوزان: المصدر السابق، جزء 2، ص 134.

⁶ الحسن الوزان: المصدر نفسه، ص 136.

الفصل الثاني: الطرق و الممالك التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي وأهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات

بعد ذلك في تيكورارين¹ تتجه نحو بلاد السودان، ولا شك أن هذين الخطين يؤكدان الحضور الاباضي في تجارة الذهب،²⁵⁴ وفي ترسيم المنطقة كفاعل أساسي في النشاط التجاري بين ضفتي الصحراء.

وقد لعبت المراكز التجارية، التي امتدت على طول وأطراف المحاور التجارية العابرة للصحراء، أدواراً مختلفة في العالقات التجارية التي جمعت بين المغرب وبلاد السودان، كأسواق تجارية استقطبت تجار شمال الصحراء وجنوبها، وأبرمت فيها صفقات تجارية مهمة، وكمحطات سمحت للقوافل التجارية بالتوقف من أجل الاستراحة، والخضوع لتنظيم معين استعداداً لعبور الصحراء، وأنها كانت بمثابة همزة وصل بإمكان القوافل التجارية أن تتزود فيها بالمؤن والمواد التجارية المختلفة وتعمل على إعادة توزيعها

وترويجها، كما شكلت سوقاً استهلاكية للمواد التي يصدرها السودان الغربي،

ومن بين هذه المراكز: سجلماسة، وولاعة، واودغشت، وتمبكتو.

ومن أهم مظاهر تطور المراكز التجارية توفرها على وكلاء تجاريين في مختلف المدن والمراكز التي تمر بها القوافل التجارية، بدءاً من تمبكتو إلى تلمسان عبر سجلماسة، إذ يقومون بالإشراف على تجارتهم في مختلف هذه المراكز، حيث كانوا يقيمون بها طوال أيام السنة، نظراً للنشاط المكثف لتجارة البضائع، واستمرار تدفقها بين تلمسان والسودان الغربي.

وفي هذا الإطار، وفي نص نادر للمقري الجد 759هـ / 1357م الذي كتبه في سياق حديثه عن مذكراته الشخصية، ومن خطه نقله ابن الخطيب في كتابه الإحاطة عند التعريف به، حيث تعرض المقري الجد للحديث عن أجداده ومن خلال وثائق مكتوبة كانت بحوزته في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/14م، وقد وصف النشاط التجاري لأجداده المقريين في القرن السابع الهجري/13م، واستمر إلى منتصف الثامن الهجري/14م، وأكد وجود شركة تجارية للمقريين مكونة من خمسة أخوة موزعين بين تلمسان وسجلماسة وولاعة.

¹ المصدر نفسه، ج2، ص133. انظر كذلك، مرمول كرنجال: إ، ص16.

² يقول الإدريسي بأن أهل وركلة وأهل المغرب الأقصى هم أكثر الناس شراء للتبر من السودان، انظر، الإدريسي: مرجع سابق، ص24. كما يؤكد أن الفواكه الرطبة لا تأتي إلى بلاد السودان إلا عن طريق وركلة، انظر المصدر نفسه، ص20. وانظر كذلك، الحميري: المصدر السابق، ص611، عندما تحدث عن مدينة ونقارة.

الفصل الثاني: الطرق و الممالك التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي

وأهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات

يقول المقري الجدي: " ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة، فمهدوا طريق الصحراء يحفر الابار وتأمين التجار، واتخذوا طبلًا للرحيل، وراية تقدم عند المسير، وكان ولد يحيى الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال، فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال، فكان أبو بكر ومحمد، وهما أرومتانسي من جميع جهات أمي وأبي بتلمسان، وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بإيواالتن ولاتة، فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار، وتزوجوا النساء واستولوا إلماء. وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر، والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران و الرجحان¹.

ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان، حتى اتسعت أمواهم وارتفعت في الضخامة أحوالهم²...". إن هذا النشاط التجاري المكثف خاص بشركة واحدة من شركات مدينة تلمسان، ولنا أن نتصور بقية الشركات التجارية التي كانت تنشط في مختلف التجارات، لنذكر حجم التبادلات التجارية بين تلمسان وجنوب السودان.

لقد كانت التجارة رائجة وثرية بين تلمسان وبلاد السودان الغربي عبر سجلماسة³.

وشكلت ثراء منقطع النظير المجموعة من الشركات التي كانت تنشط في هذا الخط⁴، وقد فسر ابن خلدون المعاصر لهذا النشاط التجاري أسباب ثراء التجار الذين يتاجرون في بلاد السودان وأرجعه إلى الندرة كسبب رئيس بقوله: "ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالاً لبعدهم طريقهم ومشقته، واعتراض المفاوز الصعبة المخطرة بالخوف والعطش... فتجد سلع

¹ كانت سجلماسة فعال مدينة يمكن اعتبارها مركز عبور أساسية للتجارة الدولية بين بلاد المغرب الإسلامي من جهة وبلاد السودان الغربي أو إفريقيا جنوب الصحراء من جهة ثانية، ابن فضل هلال العمري: مرجع السابق، ص 107.

² نظر النص في، ابن الخطيب لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد 56 عبد هلال عنان، مكتبة الجانجي القاهرة، ط1، 1394هـ/ 1974م، ص 192. المقري، ص 203، 204.

³ ذكر ابن بطوطة في رحلته إلى بلاد السودان في منتصف القرن الثامن الهجري/14م بوجود تجار من تلمسان في القافلة، منهم التاجر الحاج الزياني الذي كان يمارس في طريق الرحلة أنواعاً من اللعب بالحيات، انظر، رحلة ابن بطوطة، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1417هـ/1997م، ج 4، ص 242.

⁴ محمد حسن: التجار والحرفيون بإفريقية في بين القرنين السادس والتاسع الهجري/12 15 -م، ضمن كتاب "المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تنسيق الهادي التيمومي، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1420هـ/ 1999م، ص 66

الفصل الثاني: الطرق و المسالك التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي وأهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات

بلاد السودان قليلة لدينا فتختص بالغلاء، وكذلك سلعنا لديهم، فتعظم بضائع التجار من تناقلها، ويسرع إليهم الغنى والثروة من أجل ذلك... وأما المترددون في أفق واحد ما بين أمصاره وبلدانه ففائدتهم قليلة، وأرباحهم تافهة، لكثرة السلع وكثرة ناقلها¹.

ب-التذبذب التجاري:

منذ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/14م بدأت التجارة بين تلمسان وبلاد السودان لغربي في التراجع الكبير، نظرا للظروف الأمنية التي كانت في المغرب الإسلامي فمنذ اعتلاء أبي حمو موسى الثاني عرش الزيانيين سنة 760هـ/ ونظرا لشخصيته القوية ونفسه الطموحة كانت الدولة الزيانية في عهده تحت ضغط مضاعف من قبل الدولتين المجاورتين الحفصية شرقا والمرينية غربا، وساهمت كل منهما في تحجيم التجارة الزيانية، كنوع من أنواع الحرب غير المعنية، ولقد توجت بمقتل أبي حمو الثاني على يدي ابنه أبي تاشفين سنة 791هـ/بدعم مكشوف من قبل المينيين وأصبح تابعا لهم²، واستمرت التبعية لهم إلى العقد الثاني من القرن التاسع الهجري /15م،، لتتحول بعد ذلك إلى التبعية للحفصيين قرابة ستين سنة بدءا من سنة 827هـ/1423م³.

كما عزا المقري الجد تقلص هذا النشاط إلى عاملين أساسيين: الأول : حدوث الاضطرابات السياسية في مالي، والثاني: دخول التجارة المصرية بقوة وخاصة النسيجية إلى مالي، وبروز بعد ذلك صناعة نسيجية في مالي نفسها⁴.

كما بقيت بعض النشاطات التجارية متواصلة بين تلمسان وبلاد السودان، وسجل بعضها ابن خلدون عندما قال:"وقبله تلمسان وعلى عشر مراحل منها قصور تيكورارين...وفيهم التجار إلى بلاد السودان"¹.

1 ابن خلدون: المقدمة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م، الفصل الثاني عشر "في نقل التاجر للسلع"، ص 497

2 ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 174

3 التنسي: نظم الدر والعقيان، المصدر السابق، ص 243.

4 ابن الخطيب، المصدر السابق، ج 2، ص 193.

الفصل الثاني: الطرق و الممالك التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي
وأهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات

¹ ابن خلدون العبر، ج 7، ص 77.

الفصل الثالث:

السلع والبضائع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الإقليمين

أولاً: صادرات تلمسان نحو منطقة السودان الغربي

ثانياً: واردات تلمسان من منطقة السودان الغربي

أولاً_ صادرات تلمسان نحو منطقة السودان الغربي

أدى ازدهار التجارة في تلمسان و بلاد السودان الغربي الى تنوع السلع التي يتم الاتجار فيها وكان هذا التنوع محكوما بطول الرحلة التي كانت تستغرق ما بين سبعين وتسعين يوما مما يعني أن السلع سريعة التلف لم يكن ممكنا أن تنتقل عبر الصحراء،¹ كان لتلمسان شأن هام في علاقاتها التجارية بالصحراء و السودان¹، ومن بين السلع التي تصدرها نحو السودان الغربي :

1- القمح : كانت لتسمان مدينة كبيرة سهلية²، وفي بسيط مستوى³ ومزارعها كثيرة⁴ وفيرة القمح وكثرة أرحائه في أحواز تلمسان⁵، حيث كانت صادرات بلاد المغرب الأوسط تعتمد بالدرجة الأولى عليه. فقد كانت حبوب تنس تخرج منها الى كل الأفاق في المراكب⁶، عكس بلاد السودان الغربي الذي كان انتاج القمح فيها قليل بفعل العوامل المناخية التي تتميز بها المنطقة⁷، كما كان للقمح قيمة كبيرة حيث كان منتشرا بين الطبقات الغنية والحاكمة وبين التجار و السلاطين⁸، بسبب ثمنه المرتفع اذ كان سعر قنطار من القمح يساوي ستة مثاقيل⁹.

كما ذكر ابن حوقل أن لأهل الجزائر بني مزغنة " ..من العسل ما يجهز عنهم و السمن و التين ما يجهز"¹⁰

¹ محمد أبي رأس ناصر: عجائب الاسفار و لطائف الاخبار، تقديم و تحقيق: محمد غالم، المركز الوطني للبحث، ج1، ص. 28 .

² محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوعلاقة، منشورات بونة للبحوث و الدراسات، الجزائر، 2007، ص. 28 .

³ أبي عبد الله العبدري: رحلة العبدري، ط2، تحقيق: علي ابراهيم، تقديم: شاكر الفحام، دار الطباعة للنشر و التوزيع، دمشق، 2005م، ص. 56.

⁴ الادريسي: المصدر السابق، ص. 54 .

⁵ أمين توفيق الطيبي: دراسات و بحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، 1997م، ج2، ص. 18 .

⁶ الادريسي: المصدر نفسه، ص. 83.

⁷ مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص. 324 .

⁸ لطيفة بن عميرة: المرجع السابق، ص. 89.

⁹ عبد الله سالم بازينة: انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء، دارالكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2010م، ص. 130.

¹⁰ ابن حوقل : المصدر السابق، ص. 78.

بالإضافة الى منتوجات اخرى مثل التين المجفف، الذي كان يكثر استهلاكه في بلاد السودان الغربي و الزيب وعين البقرة¹ و الزيت و السمن² وغيرها من المنتجات الزراعية المتنوعة .

2_النسيج : اشتهرت تلمسان بصناعة الصوف، حيث وصفها الزهري " وهي دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات، والأبدان، وأحاريم الصرف، والسفاسير، والحنابل المكلكلة وغير ذلك،³ كما ذكر المرزوقي أن ملوك افريقية و المغرب "أنهم يلبسون حينئذ ما كان يعمل في تلمسان من رفيع الصوف"⁴، وازدهرت في عدد من المدن صناعة الأقمشة القطنية و الكتانية و الصوفية و الحريرية⁵ مثل مدينة ندرومة التي وصف فيها الوزان "وينسجون على الخصوص أقمشة القطن لأنه يوجد بكثرة في الناحية"⁶، وكانت الأقمشة تصدر الى بلاد السودان الغربي على نوعين: المنسوجات الصوفية ونسيج القطن، حتى أصبح معظم لباس سكان بلاد السودان الغربي من الأقمشة القطنية، وكانت قطعة قماش من ذراع وستة أشبار تساوي مثقالا واحدا من الذهب⁷.

3_النحاس: كان التجار يدخلون بلاد السودان الغربي محملين بقناطير من النحاس الأحمر و الملون، حيث كانت المصنوعات النحاسية من بين صادرات الدولة الزيانية الى بلاد السودان الغربي، وكانت على شكل قضبان⁸، بسبب افتقاد هذه المادة في بلاد السودان الغربي، حيث كانت تمر قوافل النحاس عبر الواحات لتصل الى أسواق بلاد السودان الغربي⁹.

¹ مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص. 324 .

² ابن بطوطة: المصدر السابق، ص. 200 .

³ أبي عبد الله الزهري: الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ص. 125 .

⁴ ابن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية، دراسة و تحقيق: سلوى الزهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008م، ص. 189.

⁵ أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص. 187.

⁶ الحسن الوزان : المصدر السابق، ص. 14.

⁷ مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص. 325.326.

⁸ جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)، ديوان

المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص. 217.

⁹ مبخوت بودواية: المرجع نفسه، ص. 327.

4_الملح: يأتي تصدير الملح الى بلاد السودان الغربي في المرتبة الأولى بسبب الندرة و ارتفاع ثمنه خاصة بعد تزايد طلب السودانيين عليه، فأصبح تجار الدولة الزبانية يحصلون من بيعه على أكبر كمية من الذهب¹، فقد كان سكان بلاد السودان الغربي يدفعون ثمن الملح ذهباً، ونفس الوزن²، وكانت مدينة تغازة³ هي المصدر الرئيسي له⁴. حيث ذكر القزويني أن عمل أهل تاغازا يتمثل في " جمع الملح طول السنة تأتيهم القوافل في كل سنة مرة يبيعون الملح و يأخذون من ثمنه قدر نفقاتهم⁵" وكان الحمل من الملح يباع بعشرة مثاقيل الى ثمانية وبمدينة مالي بثلاثين مثقالاً الى عشرين و يصل حتى أربعين مثقالاً فكان سكان بلاد السودان الغربي يتصرفون بالملح كما يتصرفون بالذهب و الفضة⁶، وازدادت أهميته بالنسبة لتجار بلاد المغرب الأوسط باعتبار أنه السلعة الوحيدة التي يمكن أن تسدد ثمن الذهب المحلوب من السودان⁷.

كما كان الخيل من أهم الصادرات الى بلاد السودان الغربي باعتبار ظروف تربيتها في بلاد السودان غير ملائمة، اضافة الى ثمنها المرتفع حيث في بعض الأحيان يصل ثمن الحصان الواحد خمسة عشر عبداً، بالإضافة الى الجمال⁸ والبغال التي كانت مطلوبة بكثرة في الصحراء بسبب ضخامتها وقوتها حيث كان البغل الواحد يباع بخمسة عشر الى عشرين عبداً في بورنو، بالإضافة الى الأسلحة المختلفة للدفاع و الهجوم و الكتب المخطوطة و المنسوخة وبضائع الامارات الأوربية كالبندقية وميلان وبرشلونة، كما كانت العطور من السلع المصدرة الى بلاد السودان الغربي⁹، والتمور حيث ذكر الادريسي "كانت تمر أوجلة أكثر فتمور ودان أطيب ومنها يدخل إلى السودان¹⁰".

1 مختار حساني: المرجع السابق، ص. 157 .

2 خوان جوزيف: المرجع السابق، ص. 52.

3 تغازة:

4 زاهر رياض: الممالك الاسلامية في غرب افريقيا و أثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1967م، ص. 181.

5 القزويني: المصدر السابق، ص. 26.

6 زاهر رياض: المرجع نفسه، ص. 182.

7 جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص. 220.

8 قاسي عبد الرحمان: القوافل التجارية بين حاضرة تلمسان واقليم توات وممالك السودان الغربي، الملتقى الوطني الأول، جامعة أدرار، الجزائر، ص. 3-

4.

9 يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص. 46-47.

10 الإدريسي، المصدر السابق، ج 1 ، ص 312.

ثانياً_ واردات تلمسان :

من جهة أخرى ساهمت السلع القادمة من السودان الغربي بتنشيط الحركة التجارية بين السودان الغربي و حواضر المغرب الأوسط ومن بين هذه البضائع نذكر :

1_الذهب: كان السودان الغربي الممول الرئيسي للذهب في العالم منذ القرن الثامن ميلادي¹، فقد سيطرت غانة على مناجم الذهب و الطرق التجارية المؤدية اليها²، فقد ذكر ابن حوقل "أن ملك غانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال والتبر"³، حيث كان يتزين بالجواهر وبغطاء ذهبي للرأس يقف حوله عشرة من الخيول المغطاة بسروج مزركشة بالذهب⁴، فقد كان ذهب غانة عنصراً أساسياً في اقتصاد دول شمال افريقيا، ولعبت شركة المقري دوراً كبيراً في تجارة الذهب بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي⁵، كما كانت مملكة مالي تمتلك ذهباً وفيراً حتى أن أحد سلاطين مالي منسي موسى تسبب في هبوط قيمة الذهب أثناء طريقه الى الحج بسبب انفاقه الكبير للذهب على طول الطريق⁶، وكان التجار يحصلون على الذهب على نوعين: التبر وتتداوله العامة وسبائك يشرف على انتاجها الملوك⁷، ويقوم تجار بلاد المغرب بترتيب السلع الذين يريدون مبادلتها على شكل أكوام على ضفاف النهر، ثم يختفون عن الأنظار فيأتي السكان المحليون ويضعون قدراً من الذهب على كل كومة وينسحبون فاذا رضي التجار بذلك أخذوا الذهب و غادروا وهذا دليل على أن المقايضة تمت⁸، وكان لتجارة الذهب أهمية كبيرة بالنسبة لتجار المغرب الأوسط تمثلت في أن الذهب هو السلعة الوحيدة التي يمكنها أن تفي بثمن البضائع المستوردة من الأندلس و بلاد المشرق الاسلامي وما وراء البحر⁹.

¹ جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص.224.

² نورالدين شعباني: المرجع السابق، ص.40.

³ ابن حوقل: المصدر السابق، ص.97.

⁴ بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ط2، تر: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قارونوس، بنغازي، 1988م، ص.149.

⁵ ابراهيم علي طرخان: امبراطورية غانة الاسلامية، الهيئة المصرية للتأليف و النشر، 1970م، ص.83.

⁶ عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص.43.

⁷ قاسي عبد الرحمان: المرجع السابق، ص.5.

⁸ بوفيل: المرجع نفسه، ص.151.

⁹ جودت عبد الكريم: المرجع نفسه، ص.226.

2_العبيد: كانت تجارة العبيد تلي تجارة الذهب أهمية و يمكن القول أن 90 في المئة من صادرات بلاد السودان الغربي عبارة عن ذهب وعبيد¹. كانت القوافل التجارية للمغرب الأوسط تأتي وهي محملة بالعبيد السود، ولم يقتصر استعمالهم محليا بل كان يتم تصديرهم الى مختلف الجهات²، وقد أدى تعاظم قوة العرب الى طلب متزايد على الرقيق في شمال افريقيا لاستخدامهم كجنود وعمال وخدم³، ومع أواخر القرن الخامس عشر هجري تبوأَت تجارة الرقيق أهميتها و مركزها الكبير كعملية تجارية مربحة⁴. وأشارت المصادر أن ثمن العبد كان رخيصا جدا حيث أن قيمة العبد لم تصل قيمة الحصان كما ذكرنا سابقا ولم يكن التجار يدفعون قيمته نقدا بل مقايضة بالسلع التي يحملونها الى بلاد السودان⁵، غير أن هذه التجارة كانت مأساوية بالنسبة الى قارة افريقيا حيث انخفض عدد سكانها مما تسبب في أزمة اقتصادية حادة⁶، وتدمير الهيكل السكاني للمنطقة⁷ وعرفت أسواق بني عبد الواد رواجا كبيرا بنفس رواج هذه التجارة في بلاد السودان الغربي⁸.

3_العاج: كانت سلعة العاج من السلع المتوفرة بكثرة في بلاد السودان وتكون عادة من أنياب الفيل وفرس النهر ووحيد القرن⁹، يقول الوزان " فاذا دخل الفيل في السياج الذي ينصبه الصيادون بين الأشجار، جذبوا الحبل بقوة ووقع بين السجج فينزل الصيادون من الأشجار ويقتلون الفيل بالنبال ثم يأخذون أنيابه لبيعوها¹⁰"، وكانت مادة العاج تستعمل في مجالات كثيرة مثل التصنيع وحشوات المناير و يدخل في صناعة الأثاث الفخم وكان العاج من السلع التي يتهافت عليها الأوربيين من أسواق بلاد المغرب الأوسط¹¹.

¹ كولين ماكيفيدي: أطلس تاريخ افريقيا، تر: مختار السويفي، مراجعة: محمد العزب موسى، الهيئة المصرية للكتاب، 1987م، ص.137.

² جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص.227.

³ ر.ج. هوبكنز: المرجع السابق، ص.161.

⁴ أحمد طاهر: المرجع السابق، ص.51.

⁵ جودت عبد الكريم يوسف: المرجع نفسه، ص.227.

⁶ يوسف روكز: افريقيا السوداء سياسة وحضارة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر و التوزيع، لبنان، ص.53.

⁷ عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب افريقيا الحديث و المعاصر بالقاهرة، 1997م، ص.34.

⁸ قاسي محمد عبد الرحمان: المرجع السابق، ص.4.

⁹ عطية عبد الكامل: الروابط التجارية بين شمال و جنوب الصحراء الكبرى من خلال المصادر العربية و الرحالة الأوربيين بين القرنين (15-19م)، دورية الكان التاريخية، العدد الثالث والعشرون، 2013م، ص.5.

¹⁰ الحسن الوزان: المصدر السابق، ص.258.

¹¹ مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص.333.

4_ ريش النعام: كان تجار المغرب يجلبون ريش النعام بكثرة من بلاد السودان الغربي ولاقت هذه التجارة رواجاً كثيراً في الأسواق حيث أنه كانت تحشى به الأرائك والمخاذ، وكان يستعمل للزينة أو مراوح للتهوية¹ بالإضافة الى بضائع أخرى كان يجلبها تجار بلاد المغرب الأوسط معهم من تجارتهم في السودان نذكر منها معدن النيلة والجلود المدبوغة، والجمال والتمور والجبن المجفف والسمن وبعض الأحجار الكريمة². لم ينقطع التجار عن تلمسان حتى في الأوقات العصيبة اذ كانوا يتزودون فيها بمنتجات بلاد السودان الغربي أي العاج والذهب والعبيد الذي تأتي بهم القوافل مروراً بمسالك حفرت على طريقها أبار، وكانت تلمسان تصدر مقابل ذلك الصوف والأسلحة والكتب وهي الى ذلك ممر للبضائع الافريقية والأوربية³.

ثالثاً_ أساليب التعامل التجاري بين الاقليمين :

أ_ المقايضة : من أهم أنواع المبادلات و المعاملات التجارية ذات الطابع المالي و السلعي المعروفة في العهد الزياني⁴، يعتمد هذا النوع على الاتفاق بين الطرفين بعد عرضهم للسلع فالتاجر السوداني يعرض الذهب الى جانب بعض السلع الأخرى مثل الريش و التوابل بينما يعرض التاجر الوافد سلعته من ملح ومنسوجات وبعض المواد الأخرى، وكل واحد فيهم يضع تجارتهم ثم يختفي عنها الى أن يتفقوا ويسمى هذا النوع من التجارة بالتجارة الصامتة⁵، وكانت معروفة في كل مراكز السودان التجارية حيث كانت التجارة عبر الصحراء تتم بالتبادل في معظم الأحيان نظراً لقلّة العملات فكمية من الملح يتم تبادلها بعشرين وزنة من البشته أو اللوية الأصلية⁶.

ب-الودع : كان التعامل بالودع كثيراً في منطقة السودان الغربي وقد ذكره الجغرافيون و الرحالة على أنه من العملات الكثيرة التداول في مراكز السودان الغربي من غانة، مالي وكوكو و حتى أهل سنغهاي كانوا

¹ المرجع السابق،ص.332.

² يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص.48.

³ شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية،تعريب: محمد مزالي،البشيرين سلامة،الدار التونسية للنشر،1983م،ج2،ص.202.

⁴ عبد الكريم بصديق : البيوع و المعاملات التجارية في المغرب الأوسط و أثرها على المجتمع مابين القرنين (6_9هـ)(12_15م) ،أطروحة لنيل

شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الاسلامي ، جامعة وهران ،الجزائر، 2018م،ص.222.

⁵ الهادي مبروك الدالي : المرجع السابق،ص.339.

⁶ يحي بوعزيز : المرجع السابق،ص.48.

يتعاملون بالودع في مبادلاتهم التجارية حيث أن المثلقال من الذهب في تنبكت كان يصرف بثلاثة آلاف ودعة في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي¹.

جـ_ النقود الذهبية : مع بداية القرن (8_10هـ) (14_16م) تطور الأسلوب التجاري في السودان الغربي واستعملت العملات و الغالب عليها أنها لم تكن مسكوكة²، وكانت دنانيرهم تسمى الصلغ لأنها ذهب محض غير محتومة³، وكانت تستعمل كعملة تعامل في الحياة اليومية عند أهالي السودان الغربي، وقد كانت عملات بلاد المغرب الأوسط متداولة في السودان الغربي مما يدل على التبادل التجاري بين هذه الدول⁴.

هناك عدة عملات شاع استعمالها في تجارة الصحراء منها:

_ عملة حديدية منتشرة بكثرة في مناطق غينيا.

_ عملة نحاسية حمراء رقيقة و غليظة ذات قيمة منخفضة جدا.

_ عملة الملح المعدني تستعمل في البيع والشراء.

.

¹ الهادي مبروك الدالي : المرجع نفسه ، ص.341.

² الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، تحقيق وتعليق : اسماعيل العزالي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص.28.

³ البكري : المصدر السابق ، ص.880 .

⁴ الهادي مبروك الدالي : المرجع نفسه ، ص.343 .

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال دراستي لموضوع العلاقات التجارية و مما سبق ذكره يمكن الخروج بالعديد من النتائج أهمها :

__ أن الدولة الزبانية و على اتساع حدودها البرية وامتداد السهول بها تمتعت بموقع استراتيجي ممتاز كما ساهمت استقرار الأوضاع السياسية بالدولة خاصة بعد هزيمتهم للموحدين في ازدهار الحياة الاقتصادية بالدولة

__ لعب العامل السياسي دورا هاما في ازدهار التجارة في بلاد السودان الغربي حيث كانت ممالك مالي و غانة و السنغهاي همزة وصل بين الدول والشعوب الافريقية وبين بلاد المغرب الأوسط

__ تنوع المؤهلات الاقتصادية للدولة الزبانية جعلها تحتل مكانة مكانة اقتصادية مميزة من خلال ممارسة النشاط الزراعي و الصناعي و تطور الحركة التجارية الداخلية و الخارجية

__ ساهمت العوامل الجغرافية في تعزيز الروابط التجارية بين الدولة الزبانية و بلاد السودان الغربي حيث كان القرب الجغرافي عامل مهم في ذلك بالاضافة للعوامل السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية

__ تعددت الطرق التجارية بين مدينة تلمسان و حواضر السودان الغربي كما انتشرت الأسواق كسوق مدينة تلمسان و سوق وهران... الخ كما اشتهرت مدن مثل غدامس و ورجلان في المغرب الأوسط ومدن كوكو غانة , تادمكة.. الخ

__ شهدت العلاقات التجارية بين الدولة الزبانية و بلاد السودان الغربية نشاطا وتزايدا كبير أدى الى تنوع المبادلات التجارية بينهما فالمواد التي كانت تصدرها الدولة الزبانية القمح , التمور والجلود أما واردتها من السودان الغربي فيغلب عليها الطابع التعديني كالذهب والتبر و العقاقير... الخ

__ ساهمت هذه العلاقات التجارية في نشر العربية و الاسلام في أوساط مجتمعات غرب افريقيا وتعزيز العلاقات و الروابط الاجتماعية بين الاقليمين

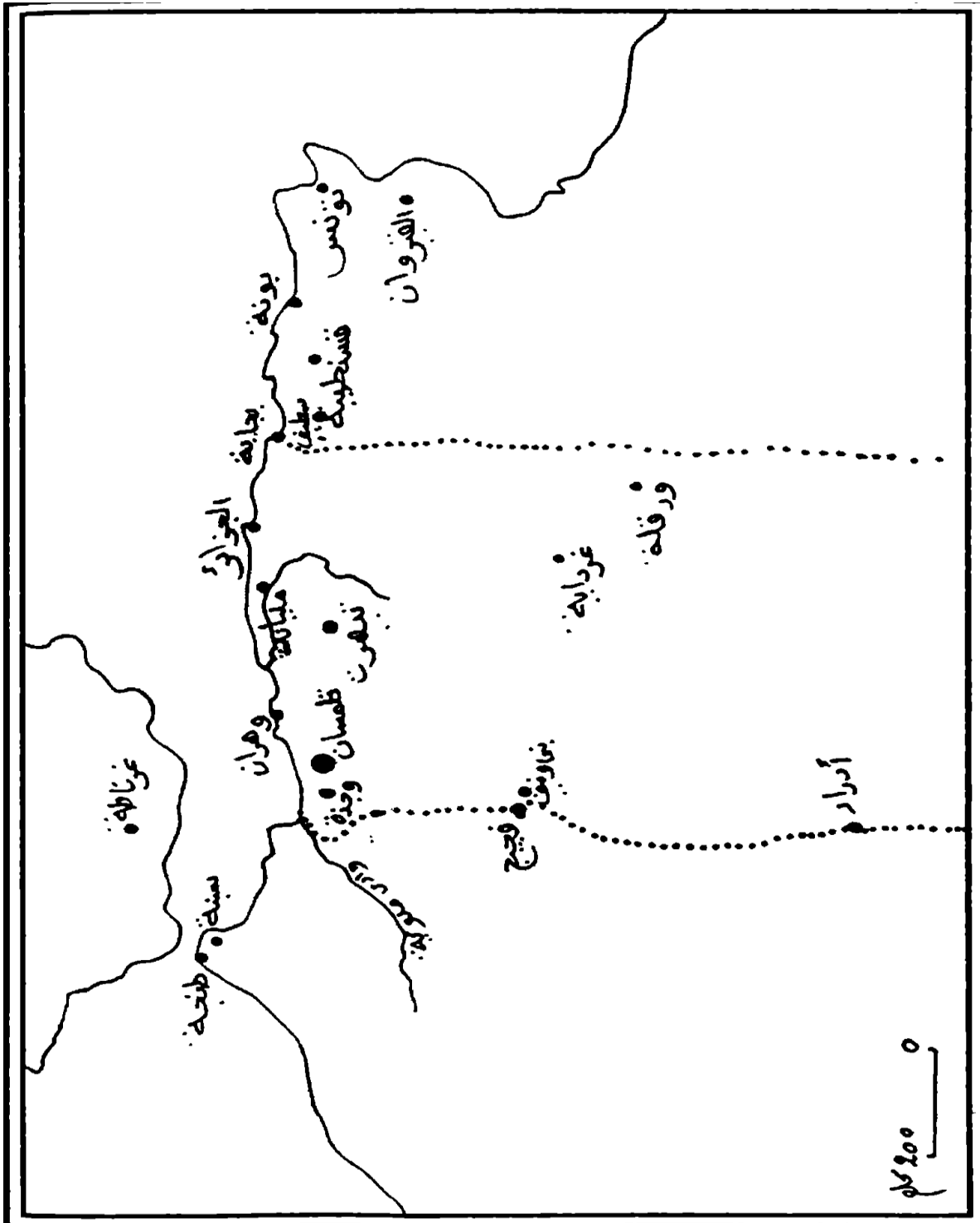
وفي الأخير أرجوا أن أكون وفقت ولو بالقليل في دراسة الجانب الاقتصادي للعلاقات بين الدولة الزبانية و السودان الغربي

الملاحق

خريطة ٨٩



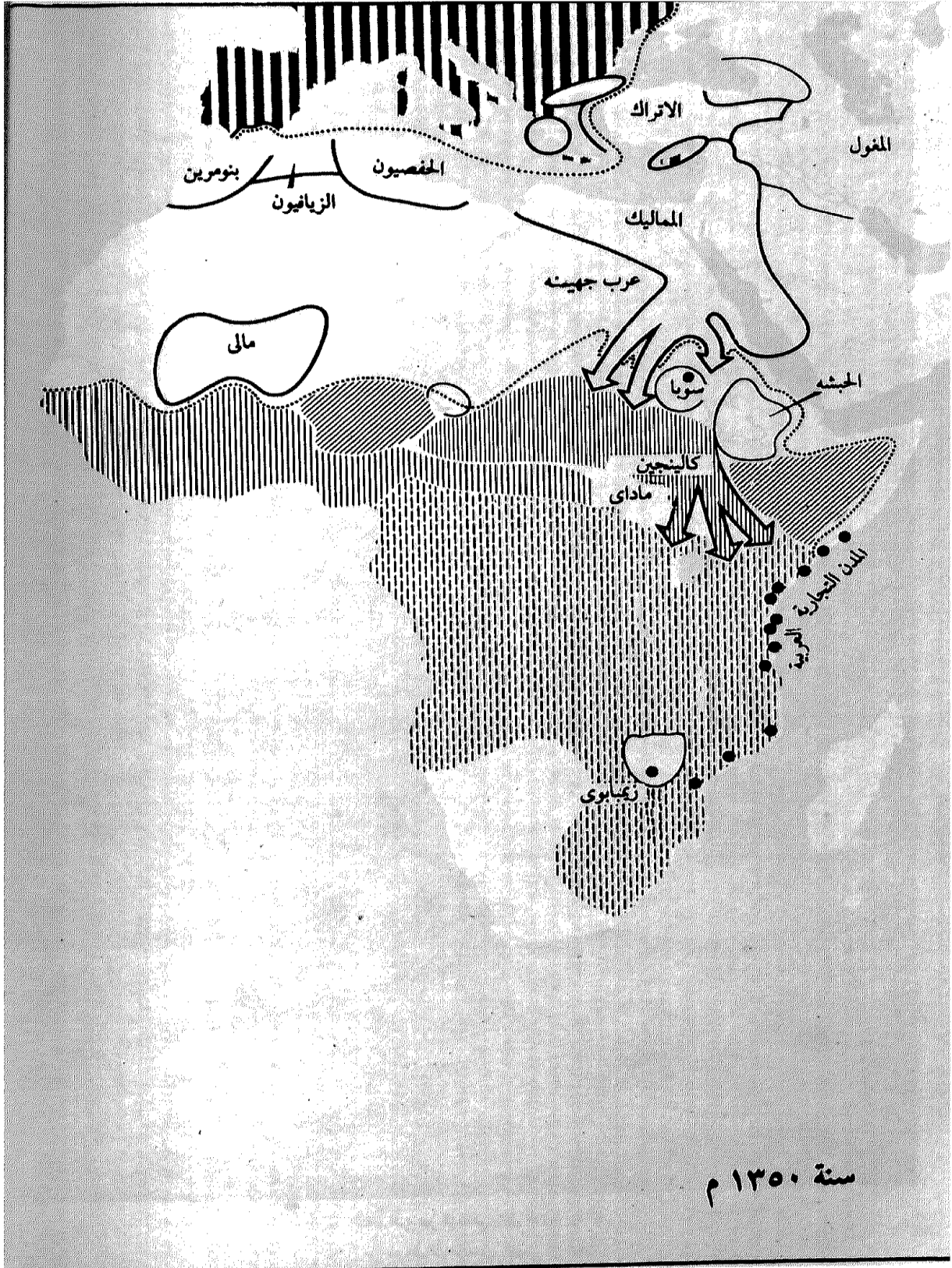
ملحق رقم 01: المغرب في عصر بني مريف وبني حفص.



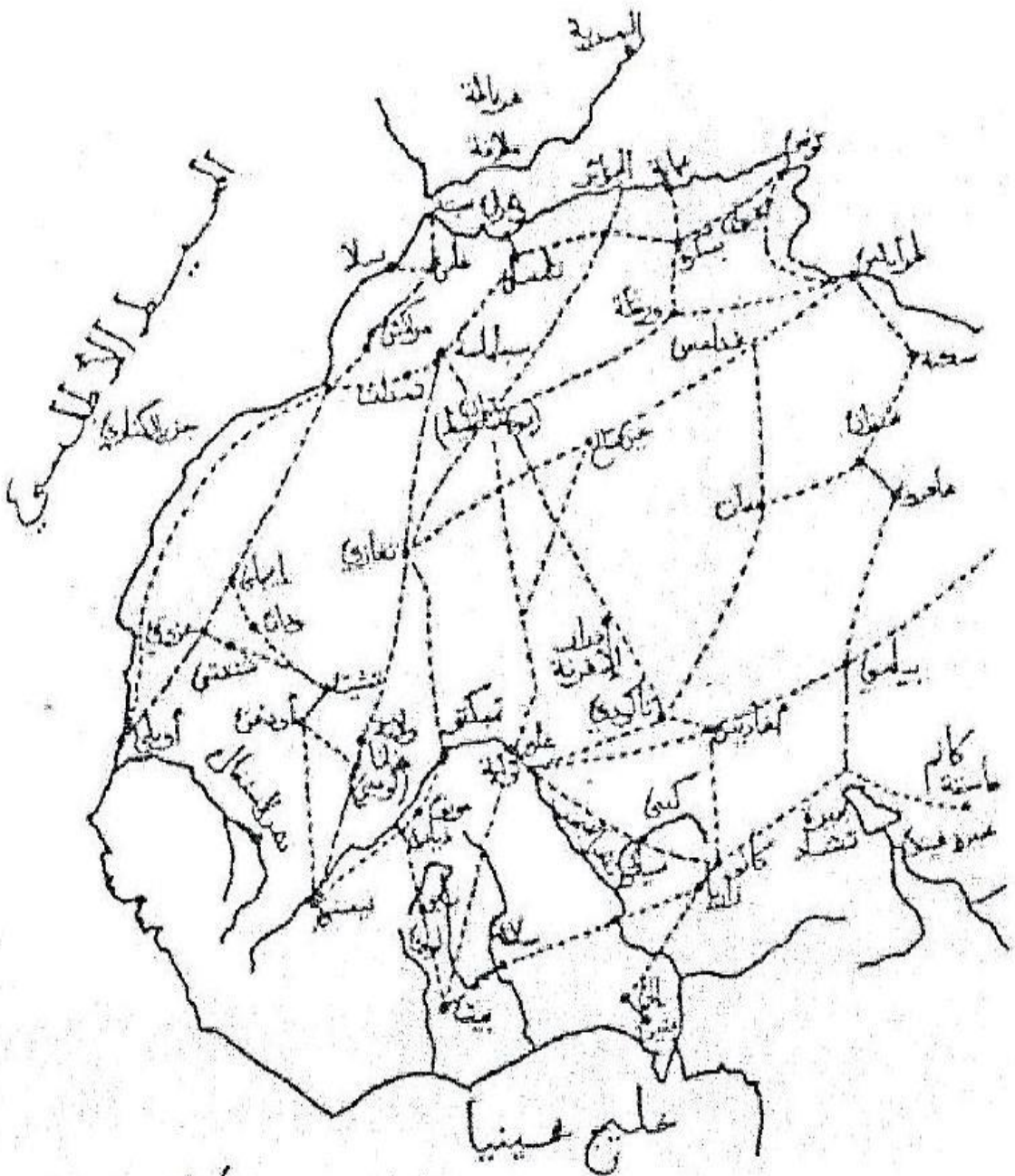
_ ملحق رقم 02 : تلمسان في العهد الزياني .



ملحق رقم 04: امبراطورية غزنة في القرن الحادي عشر ميلادي

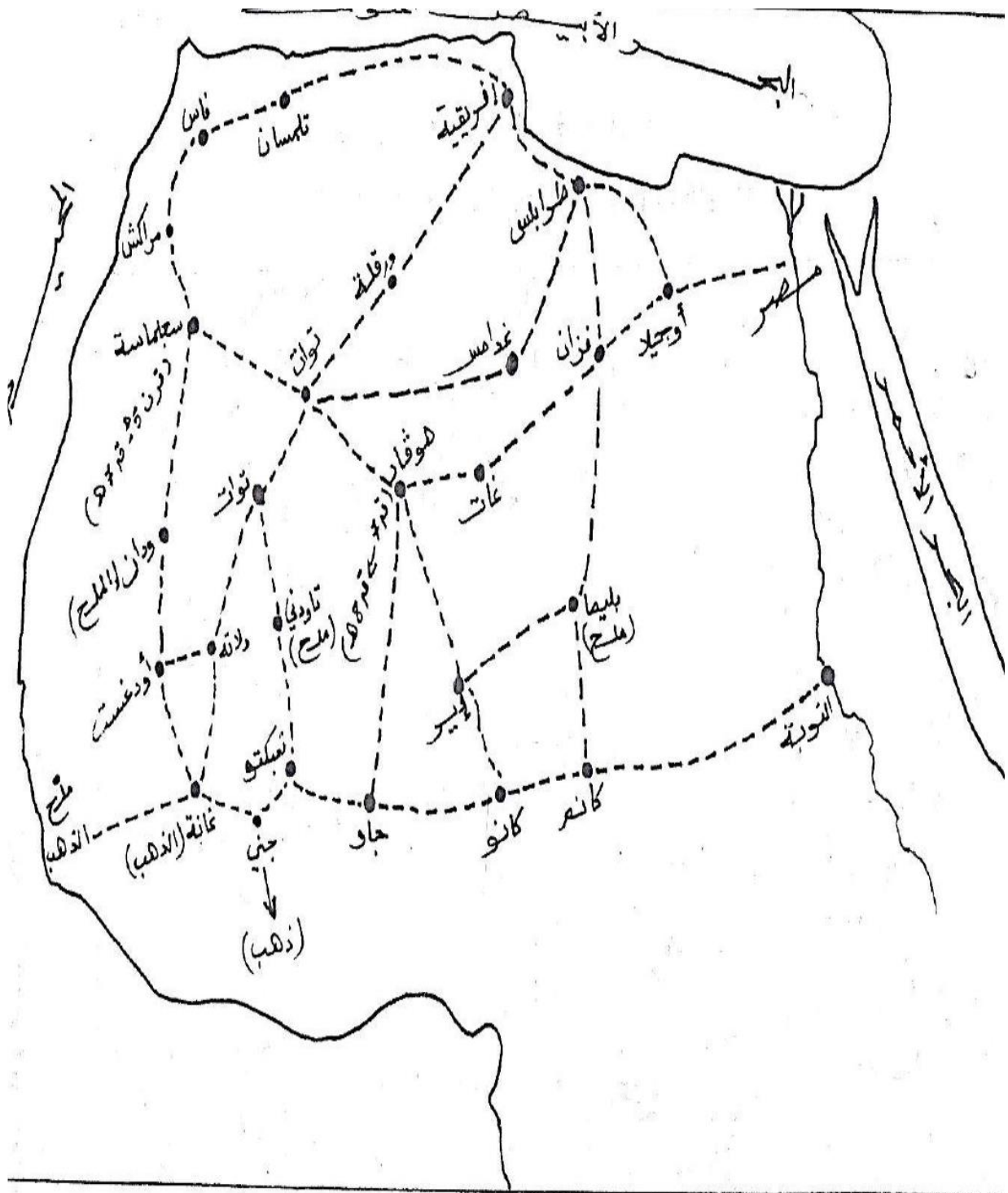


_ ملحق رقم 05 : مملكة مالي



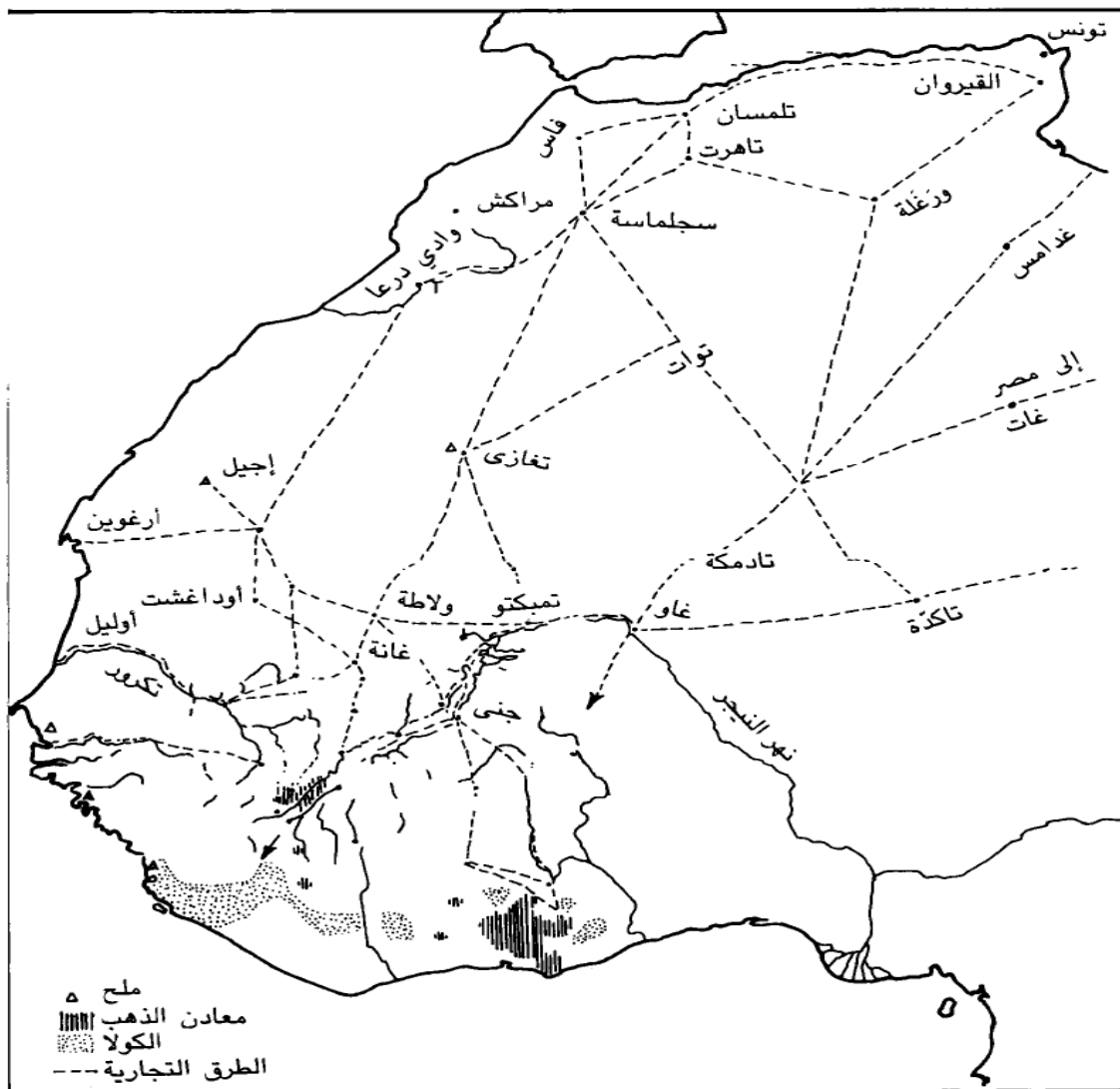
الطرق التجارية عبر الصحراء في القرون الوسطى

_ ملحق رقم 06 : الطرق التجارية عبر الصحراء في القرون الوسطى



أهم طرق القوافل خلال القرنين 5 و8هـ / 11 و14م.

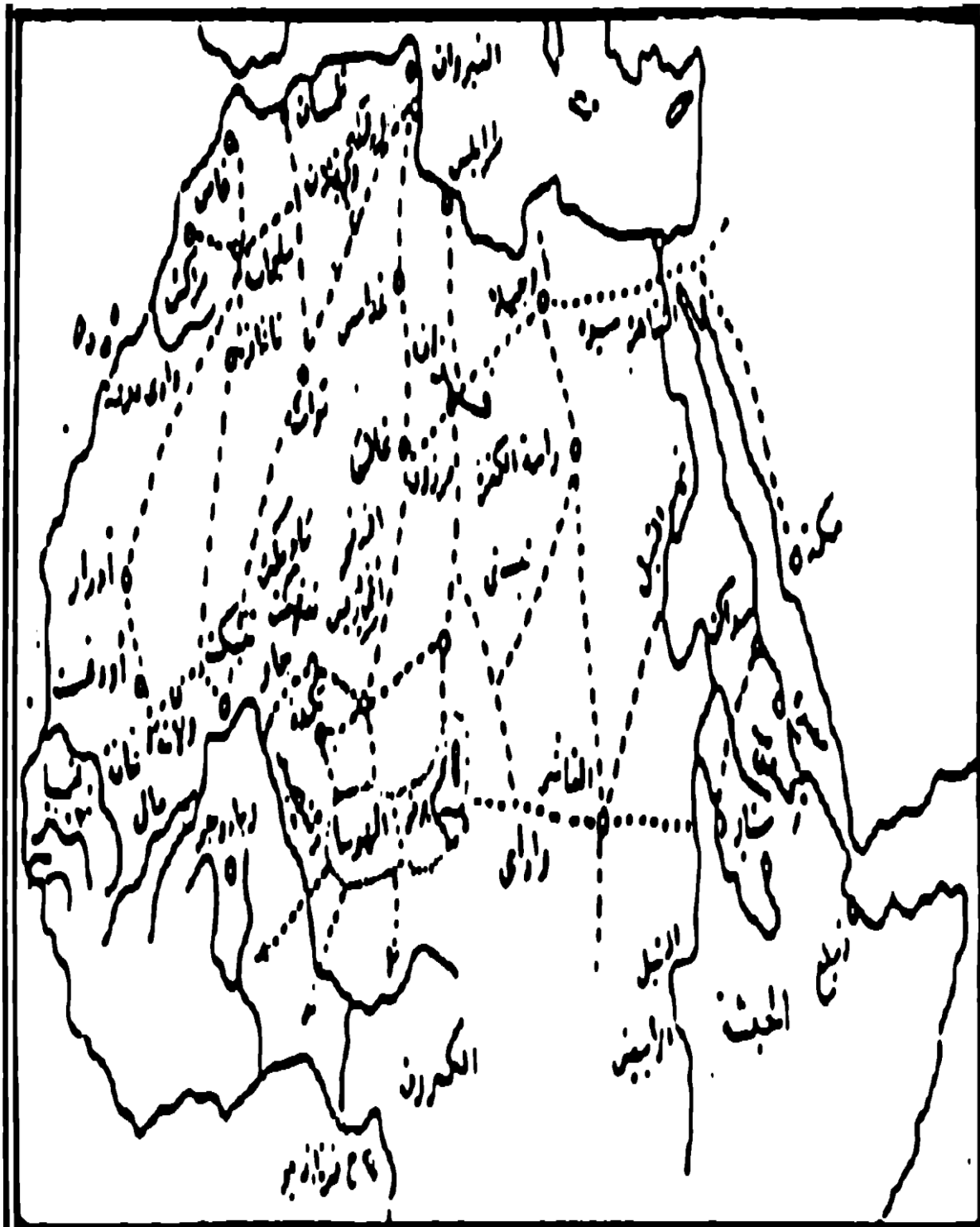
_ ملحق رقم 07 : أهم طرق القوافل خلال القرنين 5 و8هـ / 11 و14م.



خارطة (٣) الطرق التجارية في الصحراء الكبرى والسودان الغربي
بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ م

٣٩٣

_ ملحق رقم 08 : الطرق التجارية في الصحراء الكبرى و السودان الغربي بين
1000 و 1500م.



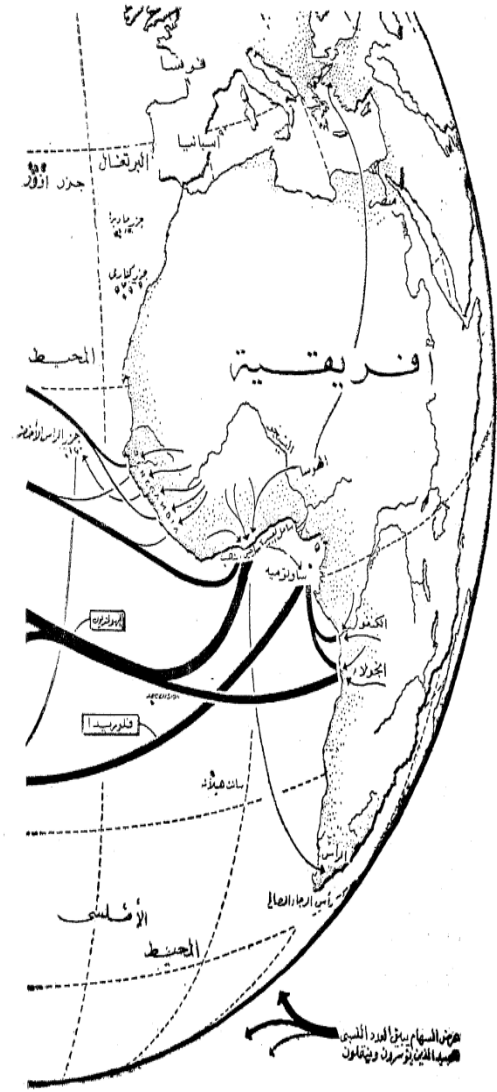
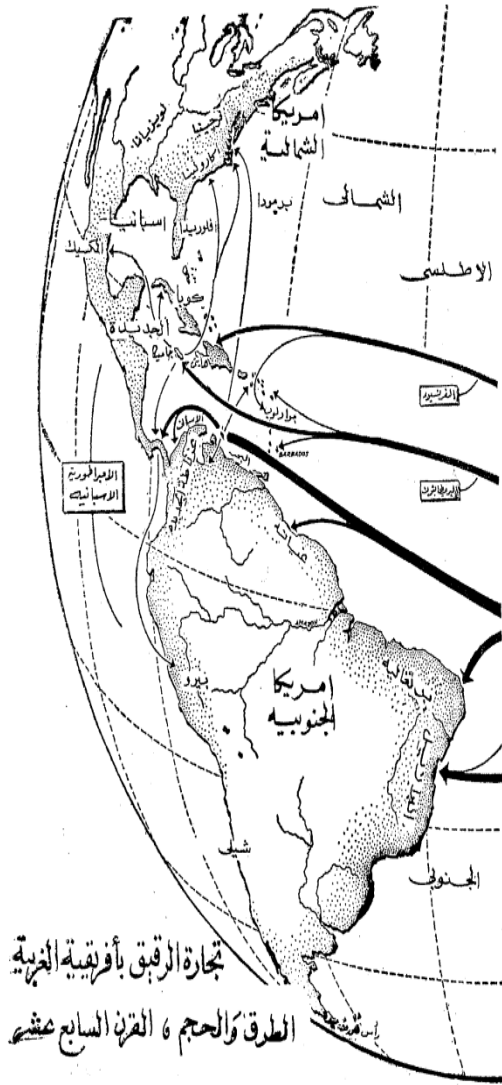
ملحق رقم 09 : طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان و شمال افريقيا.

أهم المملحات ببلاد الصحراء في العصرين الوسيط والحديث



_ ملحق رقم 10 : أهم المملحات ببلاد الصحراء

Converted by T2T Combine - (no stamps are applied by registered version)



_ ملحق رقم 11: تجارة الرقيق بأفريقيا الغربية القرن السابع عشر

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

أولاً: المصادر

1. ابن أبي زرع الفاسي،(ت.726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،دار المنصور للطباعة ،الرباط ،1972.
2. ابن الأحمرأبو الوليد اسماعيل ،(ت.807هـ/1405م): أعلام المغرب و الأندلس المعروف بنثير الجمان،ط1،تحقيق:محمد رضوان الراية،مؤسسة الرسالة،بيروت،1976.
3. ابن العوام (يحي بن محمد بن أحمد أبو زكرياء) : الفلاحة، دراسة وتعليق: غارسيا سانشير و انتيفان فرنانديز ميخو، مدريد، 1988.
4. ابن الوردي(سراج الدين)،(ت.691-861هـ/1291-1457م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب،تحقيق: أنور محمد زناتي، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008.
5. ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت.779هـ/1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، وتحقيق: محمد عين المنعم العريان، مراجعة:مصطفى القصاص،دار احياء العلوم ،بيروت، 1987م،ج1.
6. ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي النصيبي البغدادي،(ت.367هـ/977م): صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للنشر و التوزيع ، بيروت، لبنان، 1992م.
7. ابن خلدون أبو زكرياء يحي، (ت.780هـ/1378م): بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ،تحقيق: عبد الحميد حاجيات ،إصدارات المكتبة الوطنية ،الجزائر،1980م.

8. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (ت.808هـ/1406م): العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للنشر و التوزيع ، بيروت، 2000م، ج7 .
9. ابن سعيد (علي بن موسى بن عبد الملك المغربي)،(ت.685هـ/1286م): بسط الأرض في الطول والعرض،تحقيق:خوان قرنيط خنيس، معهد مولاي حسن للنشر والتوزيع، تطوان،1958.
10. ابن مرزوق(محمد التلمساني): المناقب المرزوقية ،دراسة و تحقيق:سلوى الزهري،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء،2008.
11. أبي رأس ناصر(محمد): عجائب الاسفار و لطائف الاخبار ،تقديم و تحقيق:محمد غالم ،المركز الوطني للبحث،ج1 .
12. الادريسي أبو عبد الله محمد الشريف،(ت.560هـ/1166م): وصف افريقيا الشمالية و الصحراوية ،جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، صححه ونشره:هنري بيرس ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1957.
13. البكري أبي عبد الله،(ت.487هـ): المسالك و الممالك،ط1، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.
14. البلنسي(محمد العبدري) : الرحلة المغربية،تقديم:سعد بوفلاحة،منشورات بونة للبحوث و الدراسات،الجزائر،2007.
15. تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان:ط1، تقديم وتحقيق: هاني سلامة، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، 2001.
16. التنسي محمد بن عبد الله بن جليل،(ت.899هـ/1499م): تاريخ بني زيان ملك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.

17. جوليان (شارل أندري) تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشيرين سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983م، ج2.
18. الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنعم)، (ت. 717هـ/1314م): الروض المعطار في خبر الأقطار، ط1، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان للنشر و التوزيع، بيروت، 1984.
19. الدمشقي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية للنشر والتوزيع، بتربورغ، 1865.
20. زهر البستان في دولة بني زيان، تح و تق: بوزيان الدراجي مؤسسة بوزياني للنشر و التوزيع، الجزائر، ج2.
21. الزهري (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر)، (ت. 6هـ/12م): الجغرافيا، تحقيق: محمد حاج صادق، المركز الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
22. العمري (شهاب الدين أحمد ابن يحيى ابن الفضل)، (ت. 749هـ/1349م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع، بيروت، 1971، ج4.
23. القزويني (زكرياء بن محمد محمود)، (ت. 682هـ/1283م): أثار البلاد وأخبار العباد، دار ناشر للنشر و التوزيع، بيروت.
24. القلقشندي أبو العباس أحمد، (ت. 821هـ/1218م) صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية، القاهرة، ج5، 1915 م.
25. كرخال (مارمول) افريقيا، ترجمة: محمد حاجي وآخرون، دار المعارف الجديدة، الاسكندرية، ج2، 1988.
26. المراكشي (عبد الواحد): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر، القاهرة، 1994.

27. المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب جزء من المسالك و الممالك ، مكتبة
المتنى ، بغداد.
28. المقدمة، مكتبة المدرسة ودار الكتب اللبناني،بيروت،1967 .
29. مقديش (محمود) : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار،ط1، تحقيق :
علي الزاوي ، محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، 1988.
30. المقري شهاب الدين التلمساني (ت 1041هـ _ 1622م) : نفح الطيب من غصن
الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ،تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار
صادر، بيروت.
31. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ط1،تحقيق:روبيناشي والأخرون،مكتبة الثقافة
الدينية، القاهرة، 2002،ج2 .
32. الوزان (الحسن): وصف افريقيا ،ط2، ترجمة: محمد حجي و محمد
الاخضر،دار الغرب الاسلامي ،بيروت،لبنان،1983،ج1.

ثانيا: المراجع

1. باري(محمد فاضل علي) ، كربدي(سعيد إبراهيم): المسلمون في غرب إفريقيا
تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، 1971.
2. بازينة،(عبد الله سالم): انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء،دارالكتب
الوطنية،بنغازي،ليبيا،2010.
3. بلعربي،(خالد) الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية
،ط1،المكتبة الوطنية للفنون المطبعية ، 2005.
4. بورويبة،(رشيد) الجزائر في التاريخ العهد الاسلامي من الفتح الى بداية العهد
العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984.

5. بوعزيز،(يحي): تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية ،دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2009.
6. بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير،ط2،ترجمة:الهادي أبو لقمة ،محمد عزيز،منشورات جامعة قاريونس،بنغازي،1988.
7. تلمسان من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الزيانية (55هـ _ 633هـ) (675م _1235م)، دار الألمعة للنشر و التوزيع، 2011.
8. الجمل، (شوقي عطاء الله): المغرب العربي الكبير في العصر الحديث،ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1977
9. جوزيف،(خوان): الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر.
10. الجيلالي،(عبد الرحمان): تاريخ الجزائر العام ،دار مكتبة الحياة ،بيروت،1965، ج2.
11. حاجيات، (عبد الحميد): تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني دراسات و بحث،الجزائر.
12. حساني،(مختار): تاريخ الدولة الزيانية ،منشورات الحضارة ،الجزائر،2002، ج1.
13. حسن محمد،(نبيلة): في تاريخ إفريقيا الإسلامية ، دار الألمعية الجامعية ، الجزائر، 2013 .
14. حسن،(حسن إبراهيم): انتشار الإسلام والعربية فيما يلي الصحراء الكبرى، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1983.
15. الدالي،(الهادي المبروك): التاريخ السياسي و الاقتصادي لافريقيا ما وراء الصحراء،ط1، الدار المصرية اللبنانية ، 1999م

16. الدراجي،(بوزيان): نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
17. دي، في،جي: تاريخ غرب افريقيا ،ط1، ترجمة وتقديم وتعليق : يوسف نصر ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982.
18. روكز،(يوسف): افريقيا السوداء سياسة وحضارة،ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع،لبنان.
19. رياض،(زاهر): الممالك الاسلامية في غرب افريقيا و أثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،1967.
20. الزعفراني،(حاييم) : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب،تاريخ ثقافة دين،ط1،تر: أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، دار الثقافة الدار البيضاء، 1987.
21. زيادة،(نقولا): افريقيات دراسات في المغرب العربي و السودان الغربي ، رياض الريس للكتب و النشر، 1991 .
22. سالم السيد،(عبد العزيز): تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والطباعة والتوزيع، الاسكندرية ، 1999 .
23. سلويد،(ب): إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب للنشر والتوزيع، الكويت، 1921.
24. سليتو(نافذ أيوب) ، شاكرا(محمود) : مواطن الشعوب الاسلامية في افريقيا مملكة مالي ، المكتب الاسلامي ، دمشق ، 1977.
25. سليمان،(أحمد) وآخرون: السودان و افريقيا في مدونات رحالة الشرق والغرب، دار السويد للنشر والتوزيع، الامارات ،2006م.
26. شعباني،(نورالدين) : محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي ، دار الجزائر ،

27. طاهر،(أحمد): افريقيا فصول من الماضي و الحاضر، دار المعارف للنشر و التوزيع ،القاهرة، 1975.
28. طرخان،(ابراهيم علي): امبراطورية غانة الاسلامية ،الهيئة المصرية للتأليف و النشر،1970.
29. الطيبي،(أمين توفيق): دراسات و بحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدارالعربية للكتاب،1997.
30. عبد الرزاق ابراهيم (عبد الله)، الجمل (شوقي): دراسات في تاريخ غرب افريقيا الحديث و المعاصر، القاهرة،1997.
31. عبد الكريم يوسف،(جودت): الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)،ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون،الجزائر.
32. العزب موسى،(عايدة) : تجارة العبيد في افريقيا ، مكتبة الشروق الدولية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2007.
33. عوض محمد،(محمد): الشعوب و السلالات الافريقية ،الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر والتوزيع.
34. فيلاي،(عبد العزيز): تلمسان في العهد الزياني، موفيم للنشر و التوزيع، الجزائر،2002، ج1.
35. قداح ،(نعيم): افريقيا الغربية في ظل الاسلام ، مراجعة عمر الحكيم ، وزارة الثقافة و الارشاد.
36. ماكبيدي،(كولين): أطلس تاريخ افريقيا،ترجمة: مختار السويفي،مراجعة :محمد العزب موسى ،الهيئة المصرية للكتاب ،1987.

37. مملكة مالي الاسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا ، تقديم:محمد رزوق ، دار الملتقى للطباعة،لبنان ، 2001 .
38. مؤنس،(حسن): معالم تاريخ المغرب و الأندلس ،مراجعة :عادل أبو المعاطي و محمد دياب، دار الرشاد العربية للطباعة و النشر، 1997.
39. الميلي،(مبارك بن محمد): تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، تقديم و تصحيح:الميلي، دار الغرب الاسلامي، لبنان.
40. هوبكنز،(ر.ج) : التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية ،تقديم: محمد سعودي ،ترجمة:أحمد فؤاد بلبع،المجلس الأعلى للثقافة ،1997.
41. يولم،(دنييس): الحضارة الإفريقية ، ترجمة :علي شاهين ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ، 1974.

ثالثا: المقالات (المجلات - الندوات العلمية - الملتقيات)

1. أعيف محمد: المسالك الصحراوية حلقة اتصال بين المغرب وإفريقيا الغربية ، مجلة العصور الجديدة العدد رقم 20.19
2. بكاي هوارية : شركة أل مقري التجارية ودورها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي ،مجلة المعارف، العدد 5 جامعة تلمسان
3. بن عميرة لطيفة : الرحلة التجارية بين تلمسان وممالك بلاد السودان الغربي ،حولية المؤرخ ، العدد 5 ،جوان 2005.
4. بودواية مبخوت : الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، جامعة تلمسان.
5. عزرودي نصيرة : الدولة الزيانية و دورها في تفعيل النشاط الحرفي بالمغرب الأوسط ،مخبر البحوث الاجتماعية و التاريخية ، العدد 4، جامعة قسنطينة.

6. عطية عبد الكامل :الروابط التجارية بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى من خلال المصادر العربية و الرحالة الأوربيين بين القرنين (15-19م)،دورية الكان التاريخية،العدد الثالث والعشرون،2013.
7. غرايسة عمار: الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية ،ورجلان أنموذجا،حوليات تاريخ وجغرافيا،العدد5 ،المركز الجامعي الوادي ، 2011
8. قاسي عبد الرحمان:القوافل التجارية بين حاضرة تلمسان واقليم توات وممالك السودان الغربي،الملتقى الوطني الأول،جامعة أدرار،الجزائر.
9. نوري دريد عبد القادر: ازدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي بعد القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي كما وصفته المراجع العربية الاسلامية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع.21، الكويت، 2014.
10. وناس زمان عبيد: الزراعة والصناعة في جاو عصر دولة سونغاي في عهد الأساكي 888-999هـ، مجلة كلية التربية، العراق، 2014.

رابعاً: الأطروحات والرسائل و المذكرات الجامعية

1. بن دومة محمد الطاهر : أخبار وايام وادي ريغ ،مذكرة ماجستير ، قسم تاريخ و الآثار ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،جامعة منتوري قسنطينة، 2010/2011.
2. بن مصطفى دريس : العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الأيبيرية في عهد الدولة الزيانية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بالقائد، تلمسان، 2006-2007
3. بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الاوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة لنيل الدكتوراه ،جامعة تلمسان الجزائر، 2005م_2006.

4. شقدان عبد الرزاق كامل بسام : تلمسان في العهد الزياني 633هـ-962هـ
1235م-1555م،رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح
الوطني،2002.
5. العربي لخضر: الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني،
(633هـ/1235م - 962هـ/1554م)،مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه ، كلية العلوم الإنسانية
و العلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة ، وهران ،2017/2018.

خامسا: المراجع بالأجنبية :

1. BERNARD LUGAN AFRIQUE L'HISTOIR A TENDROIT
LIBRAIRIE ACADEMIQUE PEVAIN PARIS 1986 .
2. Jean Laloum et Jean-Luc Allouche, Les Juifs d'Algérie, Images et
textes, Editions du Scribe, Paris, 1978.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	اهداء
	مقدمة
الفصل التمهيدي: الاوضاع السياسية للدولة الزيانية و السودان الغربي	
2	الايوضاع السياسية للدولة الزيانية
2	1_ نشأة الدولة الزيانية
4	2_ يغمراسن مؤسس الدولة
5	3_ الحدود السياسية للدولة الزيانية
	ثانيا الاوضاع السياسية للسودان الغربي
6	1_ التعريف ببلاد السودان الغربي
7	2_ ممالك السودان الغربي
الفصل الأول: المؤهلات الاقتصادية للدولة الزيانية و السودان الغربي	
11	أولا المؤهلات الاقتصادية للدولة الزيانية
11	1_ النشاط الفلاحي في الدولة الزيانية
15	2_ النشاط الصناعي في الدولة الزيانية
17	3_ النشاط التجاري في الدولة الزيانية
19	ثانيا المؤهلات الاقتصادية للسودان الغربي
19	1_ الخصائص الطبيعية للمنطقة
22	2_ الأنشطة الاقتصادية بالسودان الغربي

الفصل الثاني: الطرق و المسالك التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي وأهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات	
28	أولا الطرق و المسالك التجارية بين تلمسان و السودان الغربي
28	- الطرق البرية
31	ثانيا أهم المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات بين الاقليمين
31	1_المراكز التجارية الزيانية
33	2_المراكز التجارية السودانية
الفصل الثالث: السلع والبضائع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الاقليمين	
40	1_صادرات تلمسان نحو منطقة السودان الغربي
43	2_ واردات تلمسان من منطقة السودان الغربي
45	3_أساليب التعامل التجاري بين الاقليمين
48	خاتمة
50	الملاحق
62	قائمة المصادر و المراجع
73	فهرس المحتويات
76	ملخص

ملخص

ملخص:

تمكنت تلمسان في العصر الوسيط من ربط علاقات تجارية مع مختلف الدول و الامارات وبالأخص بلاد السودان الغربي التي ربطتها بها علاقات تجارية مميزة وساعد في ذلك الموقع الجغرافي والاستراتيجي لمدينة تلمسان حيث كانت ملتقى الطرق التجارية شمالا وجنوبا وشرقا ودعمت ذلك بتنوع انتاجها المحلي زراعيا و صناعيا وقد ساعد قرب تلمسان من بلاد السودان الغربي الى وجود عدة طرق ومسالك كانت تربط بين الاقليمين عبر الصحراء وقامت على طول الطريق مراكز تجارية كان لها دورا كبيرا في نجاح العلاقات بين الدولة الزيانية و السودان الغربي حيث تعدد صادرات تلمسان و وارداتها من بلاد السودان من منتجات زراعية وصناعية واختلفت أساليب التعامل التجاري بين تجار البلدين.

الكلمات المفتاحية: تلمسان، السودان الغربي، الطرق التجارية، المراكز التجارية، الصادرات والواردات

ABSTRACT

In the Middle Ages, Tlemcen was able to link trade relations with various countries and the Emirates, especially the countries of Western Sudan, with which it was linked by distinguished commercial relations. The geographical and strategic location of the city of Tlemcen helped in that, where it was the crossroads of trade routes north, south and east and supported this by the diversity of its local agricultural and industrial production. The proximity of Tlemcen from the country of western Sudan to the presence of several roads and paths that linked the two regions through the desert and along the way there were commercial centers that had a major role in the success of the relations between the Zayan state and western Sudan, where there were many exports and imports from Tlemcen from the country of Sudan from agricultural and industrial products and different methods Business dealings between the two countries' merchants.

Keywords: Tlemcen, Western Sudan, trade routes, commercial centers, exports and imports